الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية :الآداب واللغات

قسم :اللغة والأدب العربي

رقم :L15/181

ميدان : لغة وأدب

فرع :الأدب العربي

تخصص :أدب عربي

حديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب (ة): حنان بوراس

تحت عنوان

جمالية الشخصية الروائية في رواية "بداية ونهاية" لنجيب محفوظ

تاريخ المناقشة:2017/05/10

لجنة المناقشة :

الدكتور بوشلالق عبد العزيز	جامعة المسيلة	رئيسا
الدكتور زلافي إبراهيم	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
الدكتور براهم سمير	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2017/2016

شكر وعرفان

قال الله تعالى «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» سورة إبراهيم الآية 7 .

نحمد الله حمداً كثيراً ونشكره شكراً جزيلا الذي كان فضله وعطاؤه كريماً نحمده لأنه سهل لنا المبتغى وأعاننا على إتمام هذا العمل الذي نسأله أن يكون خاصا لوجهه الكريم .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور إبراهيم زلافي ، على قبوله الإشراف على هذا العمل والذي خصه بالكثير من العناية من خلال جملة من الملاحظات والإرشادات والتوجيهات الذي مافتئ يبديها على هذا العمل من مرحلة اختيار الموضوع وطوال فترات إنجازه فلك مني جزيل الشكر والإمتنان والتقدير . كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات .

فرع : ماستر أدب حديث

ولكل من ساهم في إنجاح هذا العمل من قريب أو بعيد .

مقدمة

مقدمة

أولى النقاد طرق تقديم الشخصية وعرضها في النص الروائي أهمية كبيرة لما لها من دور مركزي في داخل الرواية أي الكيفية التي يتم بها خلق الشخصيات الروائية وبناء وجودها في العمل الروائي ، كما أنها تعتبر عالم معقد شديد التركيب متباين ومتنوع ،وتتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والايديولوجيات والثقافة والحضارات والهواجس والطبائع البشرية وتعريفها بهويتها وطراز تكوينها لجعلها ذات روابط منطقية بالاسم الذي يدل عليها. وهو ماينعكس بالضرورة على الدور الذي تنجزه في سياق أحداث السرد .

ونتيجة لأهمية هذا الموضوع اخترت بحثاً موسوماً بـ:

جمالية الشخصية الروائية في رواية « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ .

وقد دفعني للبحث في هذا الموضوع جملة من الأسباب بين ماهو ذاتي وماهو موضوعي أهمها :

-الرغبة في اكتشاف محتوى رواية «بداية ونهاية».

-التعرف على أدب نجيب محفوظ والكشف عن تفاصيله .

-الاطلاع على الواقع الاجتماعي المصري بسلبياته وإيجابياته.

-الكشف عن أثر الفقر والعوز في إنحراف أفراد المجتمع .

وقد أتى موضوعي هذا للإجابة عن الإشكالية التالية :

أين تكمن جمالية الشخصية الروائية في رواية «بداية ونهاية » لنجيب محفوظ؟

وقد تمخضت عن هذه الاشكالية بعض الأسئلة منها :

-ما مفهوم الشخصية الروائية ؟ وماهي أنواعها ؟

-فيما تتجلى علاقة الشخصية بالمكان والزمان في النص الروائي ؟

-ماهي أنماط الشخصية وأساليب تقديمها في رواية «بداية ونهاية »عبر عناصر الفن الروائي ؟

أما فيما يخص الدراسات السابقة فقد سبقني إلى هذا الموضوع : زينب تومي في مذكرة لنيل شهادة الماستر تحت عنوان :« الشخصية في رواية يوميات مطلقة لهيفاء بيطار».

وللإجابة على الإشكالية السابقة الذكر فقد فرضت طبيعة الموضوع خطة بحث احتوت مقدمة ، مدخل، فصلين، وخاتمة ، تناولت في المدخل مفهوم الشخصية وأنواعها ونبذة عن حياة الكاتب، إضافة إلى ملخص لرواية «بداية ونهاية » ،وفي الفصل الأول أدرجت علاقة الشخصية بالزمان وتطرقت إلى مفهوم الزمن الروائي وعناصره كالاسترجاع والاستباق من خلال الرواية، ثم علاقة الشخصية بالمكان من خلال مفهوم المكان وأنواعه في الرواية ،أما بالنسبة للفصل الثاني فإنه يحتوي على أنماط الشخصيات الروائية (الشخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية) ،وأساليب تقديم الشخصيات عن طريق السرد والوصف والحوار وربطت كل هذا بالرواية.

وبما أن لكل بحث منهج للدارسة فقد كان الأنسب لدراستي هو المنهج الوصفي .

إضافة إلى أهم المصادر المراجع:

-بنية الشكل الروائي لـ:حسن بحراوي.

-في نظرية الرواية لـ:عبد المالك مرتاض.

وقد واجهتني أثناء دراستي بعض الصعوبات منها:

-صعوبة التحكم في المادة العلمية .

-كثرة التعريفات المتعلقة بالشخصية وصعوبة الفرز بينها .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري وتقديري وعرفاني للأستاذ المشرف الدكتور: إبراهيم زلافي، على كل ماقدمه لي من نصائح وتوجيهات فيما يتعلق بمسيرة البحث متمنية من المولى القدير أن يسدد خطاه ويوفقه في مسعاه .

مدخل

الشخصية الروائية بين المصطلح والمفهوم

أولا: الشخصية مفهومها وأنواعها وأبعادها

ثانيا : نبذة مختصرة عن حياة الكاتب نجيب محفوظ

ثالثا :ملخص رواية بداية ونهاية

أولاً : الشخصية مفهومها وأنواعها وأبعادها:

1- مفهوم الشخصية:

لايكفي الحدث وحده لتأليف قصة ما فلابد من وجود الشخصية ،التي تدور الرواية معها أو حولها ، فهي تبث الحركة فيها و تمنحها الحياة "فالشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث و قد تكون من الحيوان فيستخدم عندئذ كرمز يكشف عما وراءه من شخصية إنسانية والهدف من ورائها العبرة والموعضة"[1]،من الناحية اللغوية الشخصية تعني القناع أو الوجه المستعار الذي يرتديه الممثل ليخرج به على خشبة المسرح كي يظهر خصائص الشخصية التي يمثلها ثم تحولت اللفظة بعد ذلك من اشتقاقها من الأصل اللاتيني " Person " ، وأصبحت تستخدم للدلالة على شخصية الفرد التي يتميز بها في الحياة ، بينما في العربية نجد أن الإشتقاق للفظة جاء من الفعل «شخّص» حيث يقال دائما «شخص الشيء» أي عينه ليس داخليا فقط ، بل وخارجيا أيضا ، وبالتالي يصبح المقصود من الشخصية أنها الفرد المعين الذي يشتمل على ميزات خاصة يتميز بها عن غيره سواء أكانت داخلية أو خارجية[2].

وقبل أن نشير إلى التعريف الإصطلاحي للشخصية لابد أن نوضح الفرق بين الشخص والشخصية كمصطلحين في الرواية ككل ، فالشخصية في الحكم الروائي ليست وجودا واقعيا بقدر ماهي مفهوم تخيلي تشير إليه التعابير المستعملة في الرواية للدلالة على شخص ذي الكينونة المحسوسة الفاعلة التي تعانيها كل يوم[3].

في حين تفهم أن المقصود بالشخص هنا الانسان الفرد كما هو موجود في الواقع،أي ذلك الإنسان الحي الذي يعمل ويعيش ويفكر،ولقد خلقت لغة الروائي الشخصية بواسطة (الخيال) ، مما جعل مفهومها تخيليا لسانيا،لأن اللغة هي التي تجسد الشخصية المبدعة[4].

فعنصر الشخصية الروائية هي غالباً كائن مصنوع من صفات وأعمال بشرية ، لهذا تتشابه الشخصية الروائية والكائن البشري وتختلف الشخصيات الروائية الواحدة عن الأخرى

1-عزيزة مريدن :القصة والرواية، د ط ، ديوان مطبوعات الجامعية ،1971 ،ص27.

2- عبد العزيز شرف ، دراسات الأسس الفنية للإبداع الأدبي، دط ، دار الجيل ،بيروت، 1983، ص182.

3-الأخضر الزاوي ، دراسات في الأدب المقارن ، دط ، منشورات جامعة باتنة ، 1998، ص 128.

4-سمير روحي الفيصل ، الرواية العربية البناء والرؤيا ، ط1،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003، ص134.

في الصفات والأعمال والادوار والأهمية كما يختلف أفراد البشر وتجنبا لحصر معاني الشخصية في الدائرة البشرية أحلت السيمياء البشرية محلها من مصطلحين هما : العامل والممثل ، فالأول يدل على الدور ، والآخر يدل على من يقوم بهذا الدور ، والأدوار السردية محدودة العدد ، حصرها بروب في إحدى وثلاثين وضيفة ، واختصرها غريماس في ستة أدوار فقط[1].

ولابد من أن نقف على وجهه نظر النقاد والباحثين في تحديدهم لفمهوم الشخصية.

أ-عند النقاد الغربيين :

يقول آلان روب جرييه(Alain Robbe-Grillet) :" الروائي الحقيقي هو الذي يخلق الشخصيات "[2]،فنلاحظ أن بعض الروايات عند قراءتنا لها نجد أن الكاتب نفسه يوظف شخصيته ، بالإضافة إلى إنتاج شخصيات أخرى تحكي وتلازم شخصيته ، يوظفها أثناء أسطر الرواية ، ويرى فيلب هامون (Philippe Hamon):" أن مفهوم الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص "[3]، أما فلادمير بروب(Vladimir Propp) فقد اعتبر الشخصية كوضيفة منظور إليها من خلال دورها في تطور الحبكة القصصية ، فلقد جعل من الشخصية منفذة متغيرة ثابتة[4]؛ أي أن الافعال أو الوظائف التي تقوم بها لا تتغير ، بينما تتحرك الشخصيات في مجال معين أي في مجالات الفعل ، فلكل شخصية مجال فعلها ووظيفتها .

1-لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط 1،مكتبة لبنان ناشرون ،2002،ص100.

2-فاطمة فاطمة زهراء أزويل ، مفاهيم نقد الرواية بالمغرب والمصادر العربية والأجنبية، ط1 ، منشورات الفنك ، الدار البيضاء المغرب ، 1989، ص144.

3-حميد الحمداني ، بنية النص السردي ، دط ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، دت، ص43.

4-محمد سويرتي ، في النقد البنيوي والنص الروائي، ط1 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1981،ص70.

أما غريماس (Greimas) فذهب إلى القول:"أنه لولا وجود الشخصيات لما وجدت الأفعال"[1].

أما رولان بارت فراح يلح على الشخصية " بأنها عبارة عن شفرات غير محددة لها علاقة بالخطاب الذي يمثل في مرحلة ما برمتها"[2]، وهو بذلك يساوي بين الخطاب الذي هو تركيب لغوي للنص وبين الشخصية التي تعتقد في النقد أنها هي كل شيء .

ب- عند النقاد العرب :

يبين العقاد ما يجب للراوي حتى يتمكن من بناء الشخصية فيقول :"إن الشخصية الروائية هي دعامة الصورة الروائية وبؤرتها ، وأدوات الراوي في تشكيلها تتمثل في دقة الملاحظة وحسن الترتيب ، وصدق الوصف لمراحل تطور الشخصية والإيحاء ..."،أما عيسى عبيد فإن الشخصية عنده هي بمثابة العمود الفقري للرواية إذ يقول :" الرواية هي فن الشخصية ، وطبيعة العمل الروائي تقوم على ملكتي الملاحظة والتحليل من أجل تقديم صورة الشخصية الروائية ".

وهكذا نلاحظ أن الشخصية تحتل موقعا هاما في بنية الشكل الروائي، فهي إحدى المكونات الأساسية للرواية وتأتي للشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية ، من اهتمامها بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص ، العمود الفقري وللقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود .وقد جعل هذا المركز العام الذي تبوأته الشخصية في الرواية فنجد أحد النقاد يعرف الرواية بأنها:" قصة لقاء الشخصيات مع بعضها ، وإخبار بالعلاقات التي تنشأ بينهما" [3].

1–محمد سويرتي ،في النقد البنيوي والنص الروائي ،ص99.
2–عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،1998،ص99.
3–حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، الفضاء ، الزمن،الشخصية، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 1990، ص269.

فالشخصية حظيت في الرواية بالدراسة ، فقدمت حولها أبحاث كثيرة عكست تطور مفهوم الشخصية الذي رافق تطور نظرة النقد إلى الرواية ، وتغير وفقا لتغير نظرة النقاد للرواية ، وطريقة فهم هذا الجنس فنجد مثلا : النقد اليوناني الذي عني بالأحداث في العمل الأدبي لم يرى في الشخصية إلاّ تابعا للحدث ، وقد أدت هذه النظرة إلى تحكم طبيعة الأحداث في رسم الشخصية [1].

ونجد كذلك أن التحليل البنيوي للشخصية لايتعامل معها باعتبارها جوهرا سيكولوجيا،ولا نمطا إجتماعيا ، وإنما بإعتبراها علامة تشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه .

إن التحليل البنيوي وهو بجرد الشخصية من جوهرها السيكولوجي و مرجعها الإجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها لحنا أي شخصا، وإنما بوصفها فاعلا ينجز دورا ووظيفة في الحكاية ، أي بحسب ماتعمله ، ومن ثم نلاحظ ان غريماس يستبدل مفهوم الشخصيات بمفهوم العوامل[2].

ضف إلى هذا أن الكلاسيكيين نظروا إلى الشخصية على أنها " مجرد إسم للقائم بالأحداث "فهمشوها ونظروا إليها نظرة بسيطة تفتقد إلى الكثير من العمق والتحليل الجادين.

وظلت تلك النظرة سائدة إلى غاية بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث احتلت الشخصية مكانا بارزا فأصبحت مستقلة عن الحدث ،وأصبحت الأحداث نفسها مبنية أساس لأمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة[3].

1– محمد رياض وتار : شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، دط ،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق 1999،ص161.

2– محمد بوعزة ، تحليل النص السردي ، تقنيات ومفاهيم، ط1 ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،2010،ص93.

3– منى بن شيخ ، دلالة الشخصية في رواية المخطوطة الشرقية " واسني الأعرج " رسالة ماجستير جامعة الجزائر،2003-2004، ص16.

ازداد كذلك الاهتمام بالشخصية خاصة بعد ان ظهرت حركة الشكلانيين الروس (1915–1930)[1] ، حيث ركز الباحثون في هذا الميدان على الجانب الشكلي والتركيب البنائي الداخلي أين تعددت الكتابات النظرية ، وكذلك البحوث التطبيقية التي تناولت الشخصية ، فأصبح بذلك وجودها مستقلا ؛ فلا يستطيع أي ناقد أو دارس للأدب أن يغفل دور الشخصية في الرواية مهما كان الموضوع الذي يركز عليه ، بل إننا لا نبالغ إذ قلنا: أن تطور الرواية عبر المذاهب الأدبية المختلفة تجلى من خلال رسم الشخصيات الروائية،وبيان دورها في الحياة ومنظورها له ،والذي يعكس رؤية الكاتب وانتمائه لهذا المذهب أو ذلك أو انطلاقه من المنهج الرومانسي أو الواقعي والسبب في ذلك يرجع إلى علاقة الشخصية في الرواية بالأشخاص في الواقع[2]، وهذا ماجعل فوستر(Foster) يطلق عليها في كتابه " أركان القصة ،الناس"[3].

2–أنواع الشخصية الروائية :

يولد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات أخرى تقوم بأدوار ثانوية إذن نستطيع القول أن الشخصية الروائية تتنوع بحسب أطوارها عبر العمل الروائي ، وهناك ضروب من الشخصيات ، فنجد الشخصية المركزية والثانوية والخيالية من الاعتبار ، والشخصية المدورة والمسطحة والايجابية والسلبية والثابتة والنامية.

أ–الشخصية المدورة :

هذه الشخصية يسميها بعض النقاد الشخصية " المكثفة "أو " النامية " وهي الشخصية المركبة والمعقدة التي لاتستقر على حال ولايستطيع القارئ أن يعرف مسبقا ماسيؤول إليه

1– شريبط أحمد شريبط ، سيميائية الشخصية الروائية ، ملتقى السيميائية والنظر الأدبي مجلة التبيين ،ع11 ، عنابة ماي 1995، ص126.

2– محمد بن سلامة ، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة،2007،ص13.

3– إ،م،فوستر ، أركان القصة ، (تر) : كمال عباد جاد ،ط1، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ،2001،ص ص67-68.

الأمر ، لأنها متغيرة الأحوال ، ومتبدلة الأطور[1]، تؤثر في من سواها وتتأثر بهم أيضا ؛ فهي لايكتمل ظهورها إلاّ بانتهاء الرواية ، ويفرض ذلك تسلسل الأحداث ،وتأثيرها على بنية الشخصية التي تتحول وتتغير تبعا للتغيرات التي تطرأ على أحداث السرد[2]، فالشخصية المدورة هي معادل مفهوماتي للشخصية النامية .

ب- الشخصية المسطحة :

كوصف بأنها الشخصية التي تبقى ثابتة الصفات طوال الرواية لا بنمو ولا تتطور بتغير العلاقات البشرية أو ينمو الصراع ، الذي هو أساس الرواية ، إذا تبقى ثابتة في جوهرها وقد تبنى هذه الشخصية على فكرة واحدة ، فهي تلك الشخصية البسيطة التي لاتمضي على حال،لاتكاد تتغيرولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها [3]. فالشخصية المسطحة هي مرادف الشخصية الثابتة (statique) ، فهي تستخدم لإلقاء الضوء على الشخصية الرئيسية أو البطل ، عن طريق إبراز تطوره وتفاعله الدينامي مع الحياة .

3-أبعاد الشخصية :

يهتم الكتّاب بإظهار الأبعاد التي تلتصق بشخصيتهم أثناء إبداعهم لأعمالهم الروائية ويتعلق الأمر بـ:

أ-**البعد الجسمي :** وهو شكل الإنسان طوله أو قصره ، جسمه وسامته أو قبحه ، طول عنقه أو قصره ، لون بشرته وشعره وعينيه .

1– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، ص89.
2– محمد رياض وتار ، شخصية المثقف في الرواية العربية ، ص165.
3– المرجع نفسه ،ص89.

ب–البعد النفسي والاجتماعي: ويعني علماء النفس بالبعد النفسي الجانبي العقلي والانفعالي والوجداني ، وبالجانب الاجتماعي التربية والبيئة[1]،ولكن هذه الأبعاد متداخلة فيما بينها يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به ، فالطباع رغم أنها فطرة تتأثر بالتربية والبيئة،والجانب العقلي تنمية الثقافة والتربية ، والثياب تعبر عن ذوق صاحبها وبيئته ومستواه الاجتماعي في الوقت نفسه .

ج–البعد الحضاري : لقد اهتم الخطاب الروائي بالجانب الحضاري ، فعبر عدد من الروائيين العرب عن مشكلة اللقاء بالآخر ، لهذا فقد ابدعو شخصيات ثقافية تعبر بشكل أو بآخر عن الفكر العربي وغالبا ماتصطدم هذه بالحضارة الغربية عندما تتخذ موقفا إزائها قد يكون رفض هذه الحضارة بالكامل وقد يكون من الدعاة للانغماس فيها وقد يتخذ موقفا تعادليا بين الإثنين أي التعايش مع هذه الحضارة وبالتالي رفض مقدمتها وعروضها والقبول بمكتسباتها [2].

ثانيا :نبذة مختصرة عن حياة الأديب نجيب محفوظ:

هو نجيب محفوظ عبد العزيز أحمد باشا ، سماه والده على اسم طبيب الولادة الشهير نجيب محفوظ ، ولد في 11ديسمبر 1911 بحي الجمالية حارة قرمز ميدان بيت القاضي القاهرة ، له ثمانية إخوة أربعة ذكور وأربعة إناث ، أصغرهم يكبر نجيب محفوظ بعشر سنوات[3].

مما جعله يعيش طفولة يفتقر إلى الجو النفسي الذي بينهم فتغرس ثقته بنفسه ويزداد شعور بالوحدة والاغتراب النفسي ، و لعل ذلك جعله لا يتذكر لدى تقدمه في السن إلا والدته،بينما طغى عليها البُهوت ، فيقول علاقتي بهم علاقة الصغير بالكبير أساسها الأدب والحشمة لم

1– عبد الله خمار ، تقنيات الدراسة في الرواية ، 1الشخصية ، دط ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 1999، ص23.
2– أحمد موصلي ولؤي صافي ، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت، 2002،ص131.
3- نجيب محفوظ قصر الشوق ،دط ، طاسيلي للنشر والتوزيع ،1989،ص5.

أعرفهم كأشقاء ، أعيش معهم حياتي اليومية و لذلك كانت علاقة الأخوة من العلاقات التي أتابعها في حياتي باهتمام[1].

كانت أول دروس العلم بمدرسة بيت القصرين الابتدائية و في عام 1924 انتقلت الأسرة من الجمالية إلى العباسية 09 شارع رضوان شكري ، و بعد أن حصل على شهادة البكالوريا من ثمدرسة فؤاد الأول ، إلتحق بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة ، ففي البداية كانت عواطفه موزعة بين دراسة الأدب العربي و دراسة الفلسفة ، و بعد تردد حسم الأمر لصالح الفلسفة[2].

بدأ منذ أيامه الأولى في الدراسة ينشر مقالات متفرقة على المجلات التي كانت تصدر آنذاك " كالمحلية " و " الجديدة " و " المعرفة " و " "الجهاد اليومي "[3] ، فقد نشر أول مقالة له في أكتوبر 1932م بعنوان " اختصار معتقدات و تولد معتقدات " ، كما ترجم كتاب مصر القديمة لجيمس بيكي في نفس السنة ، و قد طبعت له المجلة الجديدة هذا الكتاب وزعته على قراءها بمناسبة العطلة السنوية ، كان رئيس تحرير هذه المجلة سلامة موسى ، كان نجيب محفوظ منذ ان إلتحق بكلية الآداب سنة 1931م حتى تخرج سنة 1934م قد أصبح عمليا محررا ثابت في " المجلة الجديدة " يكتب في الفلسفة مقالات أشبه ما تكون بالتعريف و العرض الموضوعي ، و لكنه بطبيعة الحال كان قريب من الأفكار العامة لسلامة موسى[4] ، و كان لهذا دور كبير في تكوينه المعرفي و الايديولوجي .

أتم دراسته الفلسفية عام 1934م و كان ترتيبه الثاني على الدفعة إلتحق بالدراسات العُليا فور تخرجه و بدأ يعد رسالة الماجيستير التي كان عنوانها " مفهوم الجمال في الفلسفة

1- محمد مسباعي ،التحليل النفسي للرواية ، نجيب محفوظ أنموذجا ،د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2009،ص98.
2- سيد أحمد فرج ،أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر ص1990،ص29.
3- محمد زكي العشماني ، أعلام الأدب العربي الحديث و اتجاهاته الفنية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، 1990م ،ص 29 .
4- محمد مسباعي ، التحليل الفني لرواية نجيب محفوظ أنموذجا ، د ط، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ص56.

الاسلامية " بإشراف الشيخ " مصطفى عبد الرزاق " و في هذه الأثناء تسلل إليه حبُّ الأدب فنشر أول قصة قصيرة في المجلة الجديدة الأسبوعية الصادرة في 3 أوت 1934م بعنوان " ثمن الضعف " و بعد عام من الإعداد للرسالة قرر التخلي عليها ، انصرف كليا للأدب[1].

تزوج نجيب محفوظ عام 1954 من شقيقة أحد أصدقائه و انجب منها بنتين " فاطمة " و أم كلثوم " و كان يعاني الكاتب من مرض السكري .

بدأ نجيب محفوظ في أعماله الأولى متأثرا بأسلوب السيد " محمد لطفي المنفلوطي " الذي كان يجذب الشباب من بني جيله ، فأسلوب المنفلوطي له اثر عميق على اسلوب نجيب محفوظ في الكتابة اول مرة لكنه بدأ يتقلص تدريجيا في كتاباته ، ظل نجيب محفوظ بعد أن احترف الادب سنين طويلة دون أن يحس به أحد ، ولا ينال من نقاد الأدب ما يستحق حتى نهاية الخمسينيات ، ثم انهالت عليه التقارير كأنه أديب الدنيا ، إن الذي اكتشف عبقرية نجيب محفوظ ولفت الأنظار إليه هو "السيد قطب " عندما أشار إلى قيمة أدب نجيب محفوظ ابتداء من عام 1944م أي بعد كتابة الرواية الثانية "كفاح طيبة " مما أدى إلى بروز موهبته بشكل واضح وهكذا استقطب نجيب محفوظ الأوساط النقدية عقب ثورة يوليو 1952م بحكم عمليات الإحتواء السياسي التي مارستها السلطة لإستقطاب شرائح المجتمع الفاعلة[2].

وقد أعلن نجيب محفوظ إنتمائه السياسي للثورة بصريح العبارة مدللا على صحة ذلك بكونه لم يعد له شيء يستحق أن يطيله بعد قيام الثورة بمشروعها السياسي والاجتماعي هو ماكان يتوق الى تحقيقه ويدعو إليه في أعماله الروائية كما أنه تحصل على عدة جوائز كجائزة "قوت القلوب " ثم حصل على جائزة المجمع اللغوي وسبق له أن حصل على وسام

1- جمال الغيظاني ، نجيب محفوظ يتذكر ، ط 1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989م ، ص12.
2- محمد مسباعي ، التحليل الفني لرواية نجيب محفوظ أنموذجا، ص56.

الإستحقاق من الدرجة الأولى عام 1940م ، ثم حصل على جائزة نوبل عام 1988م ، ثم ترك نجيب محفوظ موروثا ثقافيا كبير منها رواياته :"عبث الأقدار ، كفاح طيبة 1944م،زقاق المدق ،1947م، السراب 1948م، بين القصرين 1956م ، قصر الشوق 1957م،السكرية 1957م ، اللص والكلاب 1961م ،ثرثرة فوق النيل 1966م ، اولاد حارتنا 1968م ، ليالي ألف ليلة 1982م، وغيرها ".

توفي نجيب محفوظ في 30 أغسطس 2006م ، اثر قرحة نازفة بعد عشرين يوما من دخوله مستشفى الشرطة في حي العجوزة بمحافظة الجيزة لاصابته بمشاكل صحية في الرئة والكليتين وكان قبلها قد دخل المستشفى في يوليو العام ذاته لإصابته بجرح غائر في الرأس إثر سقوطه في الشارع[1].

ثالثا : ملخص الرواية :

تروي رواية "بداية ونهاية "حياة أسرة مصرية فقيرة تعيش في شارع شبرا في القاهرة وبالتحديد في شقة صغيرة بحارة عطفة نصرالله ، وهذه الأسرة هي أسرة "كامل أفندي علي" والمتكونة من زوجته وأبنائه الثلاثة (حسن ، حسنين ، حسين) وبنته الوحيدة نفيسة.

تبدا الحوادث في السيرورة عقب وفاة الأب ، والذي كان يمثل بدوره المعيل الوحيد للعائلة ومصدر قوتها في الحياة.

شكلت هذه الوفاة حزنا كبيرا خيم على المنزل بأكمله لدرجة أن الجميع لم يصدق ماحدث خصوصا مع ظروفهم الصعبة ، وبالتحديد مع اقتراب موعد الجنازة خاصة بالنسبة لحسنيين باعتباره كان يريد لوالده جنازة تليق بمقامه ومكانته .

مرت الأيام وبمرورها وجدت الأسرة نفسها في مواجهة جادة وصعبة مع ظروف الحياة خصوصا مع المعاش الضئيل الذي تركه والدهم ولا أحد من الأولاد يعمل فحسن الإبن

1- جمال الغيظاني ، نجيب محفوظ يتذكر ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989م ، ص12.

الأكبر ضائع في الشوارع وحسنيين وحسين يدرسان ونفيسة ماكثة في البيت ، ونتيجة هذا الوضع السيء تجد الأم نفسها تتقمص شخصية زوجها وتمثل دور الأب إلى جانب دور الأم ، وبالتالي تلغي مشاعرها جانبا وتفرض قوانينها على أولادها بصفة عامة وسط ألم كبير وحزن يقتل مابداخلها؛ فتحرم حسن من المصروف وحسنين وحسين تفرض عليهما تناول وجبة الغداء في المدرسة ، أما نفيسة فتجبرها على أخذ أجرة الخياطة من الزبائن الذين كانت تخيط لهم لمجرد الهواية فقط ،فرحب الجميع بالفكرة عدا حسنين رفض أن يكون أخا لخياطة خوفا على كرامته ومكانته بين الناس ، لكن قرار الأم كان صارما ولا نقاش فيه ، وقد اتجهت بدورها هي الأخرى لمقابلة " أحمد بك يسرى " بإعتباره كان وزيرا للداخلية وصديقا للمرحوم –لتطلب أن يعجل بصرف معاش زوجها رحمه الله.

قبل ذلك دون تردد حتى أنه عرض عليها المساعدة لكنها رفضت رغم حاجتها الماسة للنقود، إلى جانب هذا استسلم الاولاد للوضع وسط ألم قاتل لدى كل منهم ، فباتت نفيسة تمتهن الخياطة وتأخذ مقابلا لذلك حتى تساهم في نفقات البيت ، وصار حسن من جهة أخرى يعمل غي الكراج ، لكنه لم يفلح في ذلك واتجه للغناء في الحفلات وكانت النتيجة نفسها ، أما حسين فكان يكابد للحصول على البكلوريا وحسنيين يبحث بدوره عن الحل ليخرج من واقعه المعيش ومن فقره الذي بات لا يحتمل .

يستمر الوضع على ماهو عليه متدهورا نحو الأسوء ، بحيث تشكل فيه أنانية الإخوة الثلاثة –حسن ، حسنين ونفيسة –الجانب الأكبر ، ففي الوقت الذي تكابد فيه الأم من أجل راحة أولادها يحاول حسنين ان يستغل خطيبته بهية ابنة " فريد أفندي محمد " –الجار الذي ساعدهم بعد وفاة والدهم –ومن جهة أخرى تقوي نفيسة علاقتها مع سلمان البقال على امل أن يتزوج بها ذات يوم .

وهكذا تمضي الأيام تحمل بين طياتها الجديد الذي يحول حياة العائلة نحو الأفضل،والبداية تكون بحصول حسين ، على البكلوريا وبذلك توجه إلى طنطا ليعمل كاتب

في الثانوية ، ومن ثم إنتقاله إلى بيت الباشا كاتب ، والذي رأى فيه زوجا لإبنته غير أن حسين لم يستسلم لعواطفه ورغبته في الخروج من فقره ، فرفض العرض المقدم له حرصا منه على الوفاء لأمه في المساهمة في مصروف المنزل،أما حسنين فدخل المدرسة الحربية وأصبح ضابطا في الجيش ، ومن هنا تطلع إلى ابنة أحمد بك يسرى ، أو بعبارة أخرى نظر من خلالها إلى الطبقة الأرستوقراطية ، والحياة مما جعله يفكر في فسخ خطوبته مع بهية والزواج بها .

وفي وسط هذا التفوق في ميدان الحياة القاسية ، يغوص حسن أكثر فأكثر في عالم الاجرام والتجارة بالمخدرات وحتى البلطجة ومن هنا تعشقه مومس –عمل إثر عراكه مع زنجي وتغلبه عليه –فتعرض عليه العيش معها في شقتها وأن تصرف عليه من أموالها الخاصة وبذلك يرحب بالفكرة ، ويفتح له المجال ليبعث مصاريف جيدة لأهله ، أما نفيسة فتدق ناقوس الخطر وتدمن حياة المومسات ، بعد تخلي سلمان البقال عنها وزواجه من أخرى ويقينها من جهة أخرى ،أنه الحل الوحيد لخروجها من عالم الفقر ومساعدة عائلتها .

نتيجة لهذا الهروب يعتقد الجميع أنهم قد تخلصو من ماضيهم المؤسف والمنحط الذي يعلوه شبح الفقر والحرمان من أدنى متطلبات الحياة، وبخاصة بعد مغادرة حارة عطفة نصر الله إلى منزل بالقاهرة الجديدة والأهم من ذلك هو مغادرة حسن لعالم الأسرة وإنقطاع أخباره عنها؛ غير أن الوضع الذي يعيش فيه الاولاد، ويغرقون فيه يوما بعد يوم، كان ينبئ بأن قنبلة ستنفجر في أي لحظة ، وستكون عواقبها وخيمة على الجميع .

وبذلك يتقدم حسنين لخطبة كريمة ابنة أحمد بك يسرى ، لكن والدها يرفض الطلب بحكم أن حسنين ليس من الطبقة الأرستقراطية أخوه مجرم وأخته خياطة ، ومن هنا يتيقن أن ماضيه لن يختفي بسهولة تاركا المجال للمستقبل ، وسيبقى ثقيلا على عاتقه .

وسط هذا الصراع النفسي والجو الكئيب ، الذي يطغى على ملامح حسنين يقوم حسن بزيارته في منزله ، وهو غارق في دمه دون وعي لما يحدث حوله ، مؤكدا لحسنين شرعية مافعله ومدى صحة قراراته وروعة عالمه الذي هو فيه ، ويهيم بالمغادرة بعد ذلك مباشرة ، لكن الصاعقة الكبرى والصدمة التي لم يحسب لها حساب ، وذلك عندما يأتي مجموعة من الضباط إلى منزل حسنين ليذهب إلى المركز، على إعتقاده في داخله بأنه سيجد خبرا عن أخيه حسن دون أي شيء آخر، وعند وصوله يتفاجأ بأخته نفيسة تقف أمامه وقد ضبطت في بيت بدار للفساد ، وكان هذا المشهد بمثابة صفعة تلقاها على غفلة، وطعنة وجهت له من الخلف دون سابق إنذار .

لم يجد مايفعل ، ولم يدر ماهو الحل ؛ غير أن طريق واحد سيغطي الفضيحة ،ومن هنا فتح المجال لأخته لتنفذ الحل الذي يدور في ذهنه، فبمجرد أن أغمض عينيه –كي لايشاهد المشهد الحزين– ألقت نفيسة بنفسها في نهر النيل دون تفكير ، وحين فتح عينيه وجدها تتدافع وسط الأمواج يعلوها الماء ، فما كان له أن يفعل شيء، والحياة التي يريدها لم ولن تتحقق ، وبالتالي لاوجود للأمل وفرصة الضياع تناديه ، ولذلك لابد من الخلاص ونفيسة ليرحمها الله ، وهكذا قام بالإنتحار ومات إلى جانب أخته غرقا في نهر النيل .

الفصل الأول:

علاقة الشخصية الروائية بالزمان والمكان

أولا : علاقة الشخصية الروائية بالزمان

1-تعريف الزمن

2-تعريف الزمن الروائي

3-عناصر الزمن

ثانيا : علاقة الشخصية الروائية بالمكان

1- تعريف المكان

2-أقسام المكان

أولا :علاقة الشخصية بالزمان:

1- تعريف الزمن :

الزمن هو مظهر من مظاهر السرد وعنصر مهم في بناء الخطاب الروائي،فهو الذي ينظم العلاقات الرابطة بين الأحداث و الشخصيات المماثلة في شريط السرد حيث يعمل على بلورتها ، ومزجها من أجل تحقيق الخطاب الذي يمنحه شكله وصورته النهائية[1].

وهو من اهم العناصر في بناء الرواية ، فلا يمكن لنا تصور حدثا روائيا خارج الزمن لأنه :«يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها ، الزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على العناصر الأخرى »[2].

فالشخصيات والأحداث تتحرك وتتشكل في فضاء زمني ، فلا يتم السرد إلاّ بوجود الزمن ، ففي لحظة ما يسترجع السارد الماضي أو يستشرف المستقبل لأن الرواية ليست بنية ثابتة الكيان والتشكيل ويمكن التقاطها بوضح بل هي :«صيرورة تحول ، وشكلها في صيرورة، هدفها غير معروف مسبقا ، فكما كان الزمان في مختلف تجلياته متجددة ومتحول، فإن الرواية التي هي خطاب الزمان بإمتياز، بنية تلتفظ التحولات وهي نفسها بنية تحويل»[3].

فحركة الزمن المصاحبة لتحول والتبدل تمكن من تغيير الأشياء لينبثق موقف الشخصيات الروائية من العالم ، فيكشف عن مستوى وعيها بالوجود الذاتي والمجتمعي ويجسد أيظا رؤية الراوي.

1– بنظر :جميلة مصداق، التصوف في الرواية العربية ،الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء أنموذج ، رسالة ماجستير جامعة القاضي عياض، مراكش ،2006،ص39.

2– سيزا قاسم، بناء الرواية ، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1984،ص27.

3– محمد برادة ،أسئلة الرواية ، أسئلة النقد ، ط1، الدار البيضاء ،دت،ص61.

حاول البنيويون دراسة الزمن إلاّ انهم ميزوا بين زمن الحكاية وزمن الحكي ،وتحدثوا عن زمن الكتابة وزمن القراءة في حين الزمن الذي استحوذ على اهتمامهم هو زمن من المغامرة ، أو العنصر الذي وقعت فيه الحكاية التي تحكى لأنه " يستخدم هيكلا زمنيا معقدا، يتم التعبير عنه بواسطة تقنيات هي الإستباق والاسترجاع والتواتر والتزامن والتراكب"[1].

وهذا الزمن هو زمن تخيلي نابع من عمق النص الروائي وداخله ، فيظهر لنا الزمن الطبيعي (الموضوعي) بكل دلالاته الطبيعية كالفصول والسنة والشهر والأسبوع واليوم حيث يتحرك الزمان ويتعاقب مجددا نتيجة لحركة الطبيعة الأرضية ،أما الزمن الذاتي فهو نابع من التجربة الشعورية للإنسان المتصلة بوعيه ووجدانه وخبرته الذاتية ،أنه " يرادف معنى الزمن في الرواية معنى الحياة الإنسانية العميقة، معنى الحياة الداخلية ، معنى الخبرة الذاتية للفرد ورغم تجذرها في أغوار النفس الفردية ، هي خبرة جماعية والزمن الروائي هو الصورة الحقيقة لهذه الخبرة "[2].

-الزمن في الفلسفة :

شغلت مقولة الزمن الإنسان منذ بدء الوجود فذهب الفلاسفة في تفسيرها مذاهب شتى ووصلو في تتبعهم أنه لاوجود بغير زمن لأن الوجود هو الحياة والحياة هو التغيير،والتغيير هو الحركة ، والحركة هي الزمان فلاوجود إذن إلاّ بالزمن .

يقول عزمي طه :«الزمن عنصر مناسب ملازم بوجود استقلال عن المادة بالحرية»[3].

1– مرشد أحمد ، البنية والدلالة في روايات ، إبراهيم نصر الله ،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت 2005،ص234.
2– محمد سويرتي :النقد البنيوي والنص الروائي ،ج2، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،1991،ص10.
3– عزمي طه سيد أحمد ، الفلسفة مدخل حديث ، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ،2003،ص118.

ليس المقصود بالزمن هذه السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق أو الفصول والليل والنهار بل هو مادته المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة بل إنها البعض الذي لايتجزأ في كل الموجودات عن وجود حركتها،مظاهرها وسلوكها[1].

-الزمن في الأدب :

إن الاهتمام بالزمان يبتدي في كل فن ... في إيقاعات الجاز القلقة ...في بحث الشعراء عن ايقاعات أكثر حرية ... ويبدو أن الأدب واحد من تلك الفنون التي تجرعت النصيب الأكثر من الاهتمام بالزمن والإطاحة به ، فكان الأدب الحديث مهووسا بمشكلة الزمن وكان هذا الاهتمام أشد ما نلمسه في الرواية التي تظل التوجه الصحيح أكثر الأشكال الأدبية مرونة وأشدها إثارة[2].

تعمق مفهوم الزمن وتعدد نتاجهم النقدي المؤطر لتلك الطرحات وبذلك لم يشغل الزمن الروائيين وحدهم بل شغل النقاد أيضا انطلاقا من ادراكهم أهمية كعنصر أساسي إعطاء الرواية شكلها النهائي[3].

فتعددت بذلك رؤاهم للزمن الروائي وكانت الإنطلاقة الفعلية مع الشكلانيين الروس الذين توصلو إلى أن القيمة في العمل السردي لا تكمن في طبيعة الأحداث بقدر ما تكمن في طبيعة العلاقات التي تربط بين تلك الأحداث وتوحد أجزاءها[4].

1– ينظر : بول ريكو ، الوجود والزمن والسرد ، تر سعيد الغانمي ، دط ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت 2005،ص21.

2– ينظر :امندو لادو،الزمن والرواية ،تر بكر عباس ،ط1، دار صادر ،بيروت ،1997،ص17.

3– ينظر: الشريف جبيلة ، مكونات الخطاب السردي ، دط ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، 2001،ص21.

4– صالح ولعة ، البناء والدلالة في روايات عبد الرحمن منيف ، رسالة دكتوراة ، جامعة باجي مختار 2001-2002 ص21.

كما انهم ميزوا بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي ، فالمتن الحكائي هو مجموع الأحداث تبعا لتسلسل زمن منطقي بينما المبنى الحكائي هو الأحداث نفسها لكن ليست بذات الترتيب بل تتبع نظام العمل الأدبي وماتم عليه البناء الروائي[1].

أما أقطاب الرواية الجديدة فجاءت رؤيتهم مخالفة تماما لما أتت به النظرة التقليدية انطلقوا من فكرة تهميش الزمن وعدم الالتزام بالتطور المتسلسل للأحداث وتواتره داخل النص الروائي الجديد[2].

2-تعريف الزمن الروائي :

الزمن الروائي يتجلى في الرواية وتظهر آثاره واضحة على ملامح الشخصيات وطبائعها وسلوكتها ، فالأحداث كلها تتحرك في زمن محدد يقاس بالساعات وبالأيام والشهور والسنين.وهذا يعني أنه زمن تصاعدي ،إذ يفترض أن يجري عرض الأحداث وفق تسلسلها الزمني المنطقي الطبيعي .

إن إستجابة الرواية لهذا التتابع الطبيعي في عرض الأحداث حالة افتراضية اكثر مما هي واقعية ،لأن تلك المتوليات الحكائية قد تبتعد كثيرا أو قليلا عن المجرى الخطي للسرد ،فهي تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثا قد حصلت في الماضي ، أو على العكس من ذلك تقفز إلى الأمام لما هو آت أو متوقع من الأحداث وفي كلتا الحالتين تكون إزاء مفارقة زمنية .توقف استرسال الحي المتنامي ، وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد ، انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصة ، وهكذا فتارة إزاء سرد استذكاري ...وتارة أخرى تكون إزاء سرد استشراقي[3].

1– صالح ولعة ، البناء والدلالة في روايات عبد الرحمن منيف ، رسالة دكتوراة ،ص45.
2– ينظر : رشيد قريبع ، الرواية الجديدة بين الأدبين الفرنسي والمغاربي ، رسالة دكتوراة جامعة منتوري قسنطينة ، 2002-2003،ص56.
3– ينظر : حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،1990،ص26.

يرى جيرارد جينيت Gérard Genette أنه ليس من الممكن أن نقص حكاية دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيدا عن المكان الذس ترويها فيه ، بينما قد يستحيل علينا أن لا نحدد زمنها بالنسبة إلى زمن فعل السرد لأن علينا روايتها إما بالزمن الحاظر أو الماضي وإما بالمستقبل ، وربما بسبب ذلك تعيين زمن السرد زمن الحاكية ، أو يلحقه ،أو يزامنه ، أو يتداخل الواحد منهما بالآخر ، من هنا أهمية الزمن في الحكاية وتقدمه على الفضاء[1].

وللوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط الشخصية الروائية بعناصر الزمن وأثر تلك العلاقة في تجسيد الشخصية لابد من دراسة حركتي الزمن السردي وهي الاسترجاع Analépse والاستباق Prolépse.

إن الزمن في السرد يختلف عنه في الحكاية ، ويختلف في الحكاية عنه في الطبيعة،فالزمن في الطبيعة هو خطي متواصل يسير كعقارب الساعة أما زمن الحكاية فهو زمن وقوع الحكاية قياسا إلى الزمن الطبيعي الماضي البعيد أو القريب ، المحدد أو غير المحدد.

فزمن الحكاية خطي متواصل ولكن ضمن مدة محدودة ومحددة من الزمن الطبيعي،أما زمن السرد فهو زمن القص قياسا إلا زمن الحكاية .فالرواية تروي حكاية أي أحداثا تندرج في زمن خطي ، ولكن الرواية غالبا ما تخالف التدرج الطبيعي للحكاية.

فتعود إلى ماضيها (استرجاع) أو تروي مالم يحن زمانه بعد على أحداثها (استباق)،وقد يتداخل الاسترجاع والاستباق أحدهما في الآخر ، وقد تخرج الرواية عن

1– لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1، مكتبة لبنان ، 2002، ص103.

حدودها باتجاه الماضي أو باتجاه المستقبل (نحو حاضر الكاتب) ، وهناك زمن آخر يقاس به خطاب الرواية هو زمن القراءة [1].

3-عناصر الزمن (الترتيب الزمني) :

ويشكل الترتيب الزمني في هذا الإطار المسار الزمني في سياق الرواية من حيث الاستحضار ، أي استحضار الماضي في زمن الحضور .

الاسترجاع :وهو في حدود المعرفة السردية تقنية أساسية يعتمدها القص الروائي لتلوين مناخاته السردية القائمة على متطلبات ضرورية تحكم استخدامها ، وهي عبار بعدي يعود فيه الراوي إلى الماضي لإلقاء الضوء على أحداثه ، وبه ينقطع السرد مؤقتا ، أو استرجاع شيء من الماضي ، ثم يعود إلى أحداث حاضرة ، فهي تقنية يعتمد فيها الراوي على الذاكرة ، ذاكرة السارد أو ذاكرة الشخصيات[2].أو هو عملية سردية تعمل على ابراز حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد ، وتسمى كذلك هذه العملية بالاستذكار Rétrospection[3].

اضافة إلى ذلك هو تقنية زمنية ، تعني سرد حوادث أو أقوال أو خصال وقعت في الماضي الروائي ، حين يقدم معلومات عن ماضي الشخصيات ،أو يستدرك حوادث ماضية أو يذكر بحوادث مرت ليكررها ، أو يغير دلالة بعضها أو يطرح تفسيرا جديدا لها[4].

الإستباق :توصف آلية الاستباق في المنظور السردي بأنها حالة استشراق وقراءة واستقدام للآتي ، وبأنها في تشكيلها الزمني « مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة (تفارق الحاضر إلى المستقبل) ويعد الإستباق كذلك عملية سردية تتمثل في إيراد حدث

1– لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص100.
2– محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ، جماليات التشكيل الروائي ،دط، دار الحوار اللاذقية ، ص119.
3–عمر عاشور ، البنية الزمانية والمكانية في رواية "موسم الهجرة الى الشمال "رسالة ماجيستير " 2001-2002 ،ص6.
4– ينظر : سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984، ص ص 40 -42.

آت ، أو الإشارة إليه مسبقا ، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي سبق الأحداث "Anticipation"» [1]، فالزمن يرتبط بوعي الذات الإنسانية في تفاعلها مع الأشياء التي تحيط بها وهذا الوعي هو الذي ساعد على تقسيم الزمن إلى أقسامه المعروفة "ماقبل " و "مابعد "، فالماضي يتم إدراكه من خلال رؤى الذاكرة ، والحاضر يرتبط بالحياة الظاهرة ويتم إدراكه من خلال اللحظة الآتية ، والمستقبل يدرك بالمخيلة[2].

والاستباق هو تقنية زمنية تخبر صراحة أو ضمنا ،عن أحداث أو أقوال أو أعمال يشهدها السرد الروائي في وقت لاحق[3].

وهكذا تلحظ أن الزمن الروائي له الدور البارز في السرد الروائي ، ولابد من الإستعمال الزمني للأحداث كما سبق وأن قلنا ، من الماضي أو الحاضر أو غيرها ، وهذا ماسنجده في روايتنا «بداية ونهاية » وكيف وضح لنا الكاتب الأحداث من خلال بعض آليات الزمن وسنكشف هذا من خلال علاقة الشخصية بالزمن الروائي .

ونجد أن الزمن هو قرين المكان وهما يشكلان عنصري الإطار الزماني والمكاني فهما متلازمان من هذا الجانب على اعتبار أنهما يكشفان ضرورة الفعل الإنساني ، لأن الزمن..غالبا مايقرن بالحركة والحركة تقرن بالمكان ، بحيث يموت الزمن ويذوب في مفهوم المكان[4].

لقد ورد عنصر الزمن في روايتنا بكثرة ، وهذا دليل على أن الشخصيات الرئيسية لهذه الرواية لأنها تروي حقائق ووقائع كانت في جلها بائسة ومعاناة كبيرة فنجد الكاتب يذكر أزمنة سواء في الماضي أو المضارع ويتطرق إلى المستقبل أحيانا .

1–عمر عاشور ، البنية الزمانية والمكانية في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" ، ص8.
2– هيثم الحاج علي ، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 2008، ص17.
3– سمر روحي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية ، ط1، منشورات اتحاد العرب ،1995، ص69.
4– عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن ودلالته ، دط ، الدار العربية للكتاب ، 1988، ص16.

ما نلخص في هذه الرواية "بداية ونهاية " كله مرتبط بزمن عائلة "كامل أفندي علي" وماعاشته هذه العائلة من معاناة بعد وفاة الأب ، فالكاتب يسرد لنا حياة هذه العائلة ومامرت به .

ففي بداية الرواية وانطلاقا من القراءة لصفحات الرواية ، ترتسم في ثناياها السلاسل الزمنية الثلاث (الماضي الحاضر والمستقبل) ، لقد كان الأبطال في صراع مع الواقع المأساوي الذي هم فيه والذي يمثل حاضرهم وهو ماورد على لسان " حسنين " «هذه العطفة الحقيرة تعرفت على حقيقتنا ، فلهذا لا أطيق البقاء فيها»[1].

إن وضع الأسرة لايكاد يقف عند حدود القناعة لدى البعض بل يتجاوزه إلى محاولة التمرد على الواقع والبحث عن حل فردي يعيد عن الحل الجماعي الذي يعتبر نقطة ضعف عند بعضهم .

وبذلك فإن الكاتب يستخدم السرد بضمير الغائب ليعطينا صورة موضوعية محسوسة عن الشخصية ومظهرها ومايحيط بها في العالم الخارجي، وبعد أن يطمئن إلى تثبيت الصورة المحسوسة في أذهاننا، ينتقل بنا انتقالا منطقي على عقل البطل لنطلع على أفكاره بدون تدخل منه أو تقديم [2] .

يتجلى أنه في أعماق كل شخصية من الشخصيات آمالا واعدة وأحلام صاعدة ، وهو ما اتضح من خلال نبرات قوية قالها"حسن" ، مثلي لايضيع في الحياة ،أني أستطيع أن أشق سبيلي ، والفرص كثيرة والأسلحة في يدي لاحصر لها [3]، أما "حسين " فقد تمنى أن يتزوج " كريمة بك يسرى " ،"لا بإعتبارها فتاة فحسب وإنما بإعتبارها أن ركوبها ركوب لطبقة اجتماعية "[4]، ونفيسة منت نفسها بالزواج من سلمان البقال ؛إلاّ أن " حسين " وأمه

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة (السراب ، بين القصرين ، بداية ونهاية ، قصر الشوق السكرية) ، ط1، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1991، ص300.
2– فاطمة موسى ، كتب جديدة ، مجلة الثقافة الرفيعة ، فبراير ، 1962، ع2، ص121.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ، ص171.
4– المصدر نفسه ،ص302.

تمنيا أن يتغير وضع أفراد الأسرة بأكملها ، وبالفعل يسقط ظلام الحاضر ليصبح ماض فاتح المجال للمستقبل ، تنتقل الشخصيات إلى وضع إجتماعي آخر أفضل مما كانت فيه انتقالا طبيعي بذلت فيه ماتملك من جهد،فقد حصل" حسين" على البكالوريا وأصبح " حسنين " ضابطا ونفيسة تقبلت مهنة الخياطة،أما "حسن "فصارت كل نفقاته ونفقات اسرته على حساب مومس آوته في بيتها ؛ غير أنه بعد استوائها في هذا الوضع الجديد تنظر إلى مافيها فترى فيه شبحا مخيفا يجب التخلص منه وصفحة قاتمة لابد من محوها ، وهو ماورد على لسان " حسنين" في حديثه مع "حسن":«ليتنا نستطيع أن نمحو الماضي من صفحة الوجود أخاف أن يعيرنا قوم بما كان ، وأنت أعلم بنفوس الناس وأكره ما أكره أن يترامى شيء من هذا إلى أحد زملائي فأفقد كرامتي بين أقراني»[1] وتزداد وتيرة الصراع بين زمنين أحدهما ولى وانضمر والثاني الجميع في قلبه لامفر ، ولعل هذا الصاعد ناتج في بداية الأمر عن تحطيم حلم تعمق بصدر " حسين " وهو خطبة كريمة ، حيث قام والدها برفضه لأن له ماض غير مشرف ،فأخوه لص وأخته خياطة وبالتالي فقد كان " حسنين " «يشعر دائما بأن مطرقة ثقيلة من ماضيه معلقة فوق رأسه تهدده في كل حين ، وهاهي قد هوت على نافوخة ونثرته هشيما» [2].

يختفي المستقبل بعد أن فتح له الحاضر الباب وينزاح هذا الأخير بدوره ، ليترك الزمن الماضي بآثاره البغيضة يلاحق الشخصيات ، حتى تسقط في أسر الإحباط والضياع فالقدر لايريد للأسرة البائسة المسكينة أن تستريح ولايريد للفتى الطموح الآمل أن يسعد بأحلامه وأمانيه ! لقد هوى بضرباته السريعة المتلاحقة على أحلام العمر فبعثرها مع الريح في كل طريق[3].

1 – نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ، ص250.
2– المصدر نفسه ،ص310.
3– أنور الصعداوي ،بداية ونهاية ، مجلة الرسالة ،2يوليو ، 1951 ،ع949، ص115.

إن الاستسلام للماضي فكما كان انكسار في البداية بموت الأب وتجرع الأسرة كؤوس المرارة من بعده ، كان انكسار في النهاية بموت نفيسة وحسنين غرقا في نهر النيل ، وبذلك تنتهي الأحداث لتحمل بين طياتها الأماني والأحلام في مستنقع ماض عصف بالجميع .

وفي طيات هذه الرواية عبر الكاتب بكلمات وعبارات عن حزن هذه العائلة ومأساتها،وهذا ماسمي بالاسترجاع؛ أي إسترجاع أحداث مضت ، وهذا ماجاء على لسان " حسين " فقال بحزن : ليتنا ماعرفناه قط ! ماذا تقول ،أقول ليتنا ماعرفنا .

التدلل أبدا ، إذن لهانت علينا الحياة الجديدة المقضي علينا بها !" [1]، وفي موضوع آخر نجد "حسن " يكلم نفسه قائلا :«يا أبا عليّ ، مات الوالد رحمة اللّه عليه فقدت الركن الذي كنت تأوي إليه ، حقا كنت تلتقط رزقك بالشجار والنقار ، وتحصل في سبيله السبّ واللعن،ولكنه كان على أيّ حال رزقا مضمونا»[2].

وهناك أيضا مايسمى بالاستباق وهو حمل القارئ على توقع حادث ما ، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات وهذه المعلومات المقدمة لاتتصف باليقينية وهذا مانجده عند الأخت الكبرى نفيسة في رسم حياتها مع سلمان البقال وفي حديثهما مع نفسها نجدها تقول:«هذا بدء الحبّ الذي طالما تلهفت عليه ، نفض قلبها الغبار عن جوهرة ودبّت فيه حياة مفعمة بالنشوة والحرارة والأمل»[3] إضافة إلى ذلك فنجده يخاطبها بنبرات خائن فهمس في أذنها «هذا أفضل، لقد تكلما كثيرا .وأعيد عليك أنّك زوجي ،زوجي ولو ناصبتني الدنيا العداء ، هي مسألة وقت لن يطول...»[4].

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص174.
2– المصدر نفسه ص،178.
3– المصدر نفسه ،ص199.
4– المصدر نفسه ،ص206.

رغم كل الصعاب التي لاقت الأسرة فإن الأم بقيت نموذج للصبر وقوة التحمل ورغم كل هذه التغيرات في حياة أفراد الأسرة فإنهم قد كانو نموذج للإنسجام والأخوة بإستثناء الأخ الأكبر حسن.

ثانيا : علاقة الشخصية الروائية بالمكان :

1-تعريف المكان: هو الموضع والمشغول والذي يدل على الغلق والموضع والمنزلة[1].

إن المكان في النص الروائي هو من يحدد مسارات الشخصية ومدى حركتها داخله مايساعد في نموها وتطورها فالمكان يصبح المحرك للأحداث وفي الوقت ذاته هو موضوعا للشخصيات في النص الروائي

"إن الشخصية مهما انتقلت إلى أمكنة أخرى تضل مرتبطة بالمكان المحوري وهذا الانتقال له دوافعه لأن الإنسان لايحتاج إلى مجرد رقعة جغرافية يعيش فيها،وهذا الإنتقال إلى رقعة يضرب فيها بجذوره باحثا عن هويته وكيانه و هناك اماكن مرفوضة وأماكن مرغوب فيها، واختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا من بناء الشخصية البشرية [2]". فالمكان إما أليف وإما موحش، مكان السعادة أو الشقاء أو الواقع المر أو الحلم الدافئ ، الضياع أو المصالحة مع النفس والجماعة[3].

فالانتماء إلى المكان هو الذي يحدد طبيعة العلاقة بالمكان من ناحية الغربة والألفة فالمكان الأصلي هو المكان المحوري بالنسبة للشخصية إذا تحققت فيه مطالبها ورغباتها ، ووجدت فيه الجانب الحيوي .

1– باديس فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، مصر 2008،ص170.
2– ينظر هيام اسماعيل ، البنية السردية في رواية أبو جهل الدهاس ، لعمر بن سالم ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بجامعة الجزائر 1997-1998،ص36.
3– ينظر:أنطوان نعمة ، السيميولوجيا والأدب ، نقلا عن عيسى طيبي ، مكونات الخطاب السردي ، رواية قبور الماء الزقزاق انموذجا ، رسالة ماجستير ، الجزائر ،2000-2001، ص107.

وفي حالة افتقار هذا الجانب فإن الشخصية تحاول البحث عنه في مكان آخر ومن ثم يحصل الانفصال عن المكان المركزي والاتصال بالمكان المحيط .

2-أقسام الزمن:

-**المحيط القريب** : وهو المكان الذي تكون فيه العلاقة بينه وبين المكان البؤرة علاقة دائمة ومتواصلة .

-**المحيط البعيد** : وتكون علاقته بالمكان البؤرة علاقة طارئة ومحددة.[1]ويمكن القول أن عملية الانتقال من مكان إلى آخر يستتبعه تحول في الشخصية ، فالإنغلاق في المكان محدد يعبر عن الجهود والعجز وفقدان القدرة على الفعل والإنسجام ، وقد يزداد المكان ضيقا وانغلاقا لتجد الشخصية حبيسة غرفة. لكن رغم هذا الانتقال فإن المكان المركزي والمحوري يبقى هو نواة الأمكنة في العالم سواءا في تصورنا الذهني أو في ممارستنا اليومية[2].

ومن هنا تتصدر اهمية المكان في كونه منافيا وقدرا محتما علينا يأخذ دلالته من خلال احترافنا ومعايشتنا له كأحد مكونات الحياة .

ومن هذا المنطلق للتحدث عن اهمية المكان في الرواية ، لابد أن نوضح أهم المميزات التي تطغى على المكان الروائي دون المكان الواقعي وهي كالتالي :

1-فضاء لفظي : لايوجد الأمن خلال اللغة ، فهو فضاء لفظي (Espace Verbale)بإمتياز ، ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح ، أي كل الأماكن

1– ينظر :سعيد يقطين ،قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ،د ط ،المركز الثقافي العربي ،د ت ،ص92.
2– ينظر :عز الدين مناصرة ،شهادة في شعرية الأمكنة ، مجلة التبيين ،الجاحضية ،ع1،1990،ص25.

التي نذكرها بالبصر أو السمع ،إنه فضاء لايوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب فهو يشكل لموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه[1].

2-فضاء متخيل : يتشكل داخل عالم حكائي في قصة متخيلة تتضمن أحداث وشخصيات، حيث يكتسب معناه ورمزيته من العلاقات الدلالية التي تضيفها الشخصيات عليه ، وبالتالي فإن الفضاء في السرد إلى جانب بنية الطبوغرافية (الجغرافية ، المكانية) يملك جانبا حكائي تخيلي[2].

3-فضاء ثقافي : إن تشكل الفضاء الروائي من الكلمات أساس يجعله فضاءا ثقافيا بمعنى أن يتضمن كل التصورات والقيم والمشاعر التي تستطيع اللغة التعبير عنها ومن هنا يتميز السرد ، نتيجة طابعه اللفظي الخالص ، عن تلك الفضاءات التي تعبر عنها العلامات غير اللغوية مثل رموز الرياضيات والفيزياء الحديثة ، لأنها فضاءات مجردة ، تقتصر على التعبير عن علاقات هندسية ورياضية شكلانية[3].

ومن هنا فلابد للكاتب من استيعاب طبيعة المكان الحقيقية ، ليس في طبيعته الجغرافية فحسب ، بل في طبيعة المحتوى الحضارية والفضاء الدال ، فلكل زمان ومكان طبيعة عقلية ونفسية ووجدانية خاصة تتسم بها في تفاعلها مع الشخوص والأحداث واللغة ، وهذا مايجعل المتلقي أو القارئ يقيم ضرورة استيعاب الكاتب الزمانية التاريخية في تفاعلها مع الشخوص والأحداث الحقيقية ، حيث أن الحيز المكاني الذي تتحرك فيه الشخوص والأحداث هو بمثابة العامل المهم في بلورة معالم تلك الأحداث والشخوص بما تضيفه على عنصر "الشخصية " خاصة في سمات تتعلق بالرقعة المكانية ذاتها[2].

1– حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي (الفضاء ،الزمان والشخصية) ،ط1 ، المركز الثقافي العربي ،بيروت، 1990،ص97.
2– المرجع نفسه ،ص100.
3–المرجع نفسه ،ص103.
4–سعيد شرقي ،محمد سليمان ، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ ،ط1، كلية الآداب جامعة المنوفية، 2000،ص173.

ونجد هذا الارتباط أي الشخصية بالمكان عند الكثير من الروائيين خاصة عند نجيب محفوظ حيث ربط في كثير من أعماله الواقعية بين مصير الشخوص والمكان الذي يعيشون فيه لاسيما في أحياء القاهرة مثل :زقاق المدق وغيرها.

عن اعتبار الشخصية مكونا أساسيا من مكونات النص السردي فقد بات شيئا مفروغا منه ، لكن ماعلاقة هذا المكون بالمكان هو الآخر ؟ وكيف يكون المكان مرآة عاكسة لطباع الشخصية ؟ وكيف تؤثر طبيعة المكان في حياة الشخصية ؟

إذن فكل هذه الاقتراحات ستجيب عليها من خلال هذا التحليل ؟؟.

للبيئة المكانية دور كبير في تجلية أحداث الرواية ، وتوضيح الظروف التي صاحبتها مما يجعل القارئ أكثر فهما للأحداث وانجذابها إليها .

إن البناء المكاني للشخصية في الرواية التي يمثل وحدة أساسية متميزة بصفة ما،وفي الحقيقة إن صراع الشخصيات مع الحياة ، يبدو في جانب كبير صراعا مع المكان من حيث هو أشكال متعددة.

فالمكان حامل للمعنى ودلالة معينة ، ويخلقه النص الروائي عن طريق الكلمات والشخصيات[1].

ولهذا نجد ثلاث مستويات من التصوير اللغوي الذي يصور وظيفة المكان في بناء الشخصيات وهي :

أ-**المستوى الأول:**يتمثل في الصورة الوظيفية المكانية ، حيث يبرز المكان الساكن لحدوده أساسية في بناء الشخصية.

1-عثمان بدري ،بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ،ط1،دار الطباعةوالتوزيع ،بيروت،1987،ص94.

ب-المستوى الثاني : يتمثل في الصورة السردية الوظيفية ، حيث يوجد فيه نوع من التقابل من جهة والتوازي من جهة أخرى بين كل من البعد المكاني والبعد الوظيفي للشخصية .

ج-المستوى الثالث : يتمثل في تداخل كل من البعد الزماني والمكاني للشخصية غير أن هذا المستوى نجده ضئيلا في النص الروائي وهذا مانلمس في الرواية[1].ولهذا فالتصوير المكاني يشكل نسيجا تصويريا يتداخل فيه الإستعمال الإيجابي الغير مباشر متمثل في المقطوعة السرديةو الوصفية مثل :القى ،شمل ، دخل ، ومن حيث المجال المكاني نجد صورتان مكانيتان موحيتان بدلالة واحدة ،تتمثل في الردهة الطويلة ،أما الثانية في ذلك الشمول العميق الذي كان يخيم على أجواء المدرسة ، ومن خلال هذا نستنتج صورتان مكانيتان ،ولذلك يمكن أن نستخلص من خلالها معنى واحد يتمثل في شعور الشخصيات.

هذا مانلمسه من خلال حسنين وحسين ونفيسة الأم ويتجلى أكثر في شخصية "حسين" .

وكما نلاحظ ارتقاء اللغة الروائية إلى المستوى من التصوير الفني لعلاقة الشخصية بهذه الجزئيات المكانية الحسية مثلا :الردهة ، المدرسة التي يخيم عنها السكون الطويل .

وكما أن تطور الشخصية الأساسية في الرواية ،يشكل إحدى عناصر البناء المكاني الذي يمثل أكبر حيز شعوري وحسي وذهني[2].

ونلاحظ هذا من خلال :«...وجال بصرهما فيه يشبه الذهول ، وكأنهما كانا يتوقعان تغيرا شاملا ،لايدريانه ولكنهما وجداها كالعهد بها لم يتغير منها شيء ، هذا الفراش على يمين الداخل ، والصوان في الصدر يليه الشجب ،وإلى اليسار الكنية التي ارتمت عليها الأخت وقد أسند إلى حافتها عود انغرست ريشته بين أو تارة[3].

عن صورة وضع الأثاث كالفراش والصوان والكنبة والعود والسكة تشكل كلها صورة للمكان.

1– عثمان بدري ،بناء الشخصية الرئيسية ،ص ص99 - 100.
2– المرجع نفسه ،ص104.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص ص162-163.

فحسنين هنا يبحث من خلال هذا المجال المكاني الوصفي ، عن التغير وعن المجال الذي يعيد فيه رؤية الموت ، أو يبحث فيه عن معنى هذه الرؤية ، لكن سرعان ما تتقلص هذه النظرة وذلك من خلال العبارة الآتي «ولكنهما وجداها كالعهد بها لم يتغير منها شيء» وكذلك من وجهة نظر حسنين في هذا المجال المكاني يخضع لسمة فنية أساسية هي سمة التقابل بين المجال المكاني الخارجي ، وذلك من خلال تصور حسنين لما يمكن أن تقوم عليه الجنازة مرتبط في نفس الوقت بما يود أن يكونه هو .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن المكان يأخذ أيضا صفة التعاكس، ونستطيع أن نقول أن التقابل العكسي بين المكان وحسنين هنا يبحث عن موقع حسين يعادل ماهو مركب في ذهنها وشعورها[1].

ولهذا فالمكان يأخذ صفة سلبية من وجهة نظر هذه الشخصية ،فالمكان أيا كانت صفته والمستوى اللغوي الذي ينسج العلاقات الموجودة بينه وبين الشخصية يبدو أنه أخذ هوية هذه الشخصية ،هذا يعد من صميم بناء الشخصية الروائية وهذا وقف عليه أحد النقاد "أندريه ميكل " الذي يرى أن أهم ميزة لنجيب محفوظ إنما هي رزانته وصرامته[2].

كما نجد صيرورة هذه الأسرة مكانيا على نحو درامي خفي و ذلك في قوله :«وطرق الباب،ثم دخلا ، وتسمرت أقدامها وراء الباب»[3].

فنلاحظ دلالة المكان هنا من حيث أنه شيء مادي مثل الأثاث، كالمقاعد والكنبات والدواليب والأبسطة ، ومن حيث هو حجم هندسي مادي معين مثل الشرفة ، ومن جهة أخرى نجد مجالات مكانية في موقع "الشرفة " ثم " السطح "وذلك يتجلى في قوله« ...أنني بحاجة إلى مثل هذه الفتاة ، نذهب إلى السينما معا ونلعب معا ، ونتحدث كثيرا ... » [4].

1– عثمان بدري ، بناء الشخصية الرئيسية ،ص117.
2– المرجع نفسه ،ص118.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ، ص175.
4– المصدر نفسه ،ص184.

فالمكان هنا ممثلا في السطح ، وكل ما يتصل به من قرائن مادية مختلفة بما فيها شخصية بهية نفسها يكون صورة حسية ومعنوية لذلك السطح الذهني والشعوري .

وأما رمزية والمكان فهو ليس المكان الذي تحي وتعيش فيه بهية ،فهو يحمل بالنسبة لها تفسيرات عدة حيث كان مجال إلتقاءها بحسين.

ومن هنا نلمس أن شخصية حسنين اتخذت في الرواية مجال مكانيا مخالفا لكلا من شخصية "نفيسة" و"حسن" وأبرز هذه المجالات المكانية عمقا في البناء الدرامي للرواية هو مجال شخصية " نفيسة " وذلك في قوله :«وجدت نفيسة نفسها في حجرة متوسطة الحجم،قامت على جانبيها كنبتان كبيرتان وبضعة مقاعد ،أما أرضها ففرشت ببساط أسيوطي ، وفي جدارها المواجهة لمدخلها شرفة تطل من الدور الرابع على شارع شبرا ،كل الأثاث قديما والظاهر أن الحجرة كانت معدة لجلوس الأسرة في أوقات الفراغ... »[1].

فالمجال المكاني يظهر هنا في المفوضات والمنطوقات فالفنان يتعامل معه باعتباره تصويرا لغويا يشكل المجال الذهني والشعوري لشخصية "نفيسة " الذي تبدو فيه وهي تبحث عن شقائها ،في الوقت نفسه تبدو فيه موضع تحقيق السعادة للآخرين هذا ما يتجلى من خلال طريقة وصف أثاث الحجرة ، وكذلك الفنان يقذف بالشخصية في هذا الحيز المكاني من زاوية عدم وعيها بنفسها في مرحلة الماضي القريب ، وذلك انطلاقا من استخدام مجموعة الجمل الدالة ،ثم ينطلق في جزيئات المكان والتي تبدو من خلاله نفيسة وكأنها تبحث عن معنى تنتزعه ،غير أن هذا الأخير يتحول إلى مجال وعيها بمواقفها إزاء هذا المعنى المسند إلى شخصية غريبة وذلك ابتداءا من قول الكاتب :«جئت لك بزبونة ملآنة،عروس ومن أسرة كريمة فأرجو أن تخيطي لها ثيابا » فهنا نشأ عندها عنصر التقابل والتوازي بين المظهر الحسي المرئي الخارجي ،وبين واقعها الشعوري الداخلي.

1– نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ،ص189.

وهذا التقابل المكاني بين خارج نفيسة وداخلها حينا، وهذه الفتاة حينا آخر ، حيث يأخذ هذا الحيز المتجاذب إلى حد التداخل[1].

ولهذا فالبناء المكاني المفارق لشخصية نفيسة لاترتبط به لغويا على مستوى لغوي واحد فيبدأ أولا بنوع من العرض الوصفي للحجرة ومحتوياتها مثل :حجم الحجرة،مساحتها،نافذتها وكذلك الأشياء المحتوية كالمقاعد ،البساط ،الراديو .ولهذا نستخلص أن شخصية نفيسة من خلال هذا المجال المكاني ، تبدو فيها علاقة حزن وأسى فتعتبر رؤيتها امتداد لرؤية الموت نفسه ، ومن أهم المجالات المكانية الأخرى التي يتم فيها تصوير صيرورة شخصية نفيسة،تلك العلاقة التي كانت بينها وبين "جابر سلمان " ابن البقال ، ويمكن أن نستنتج نوعان أحدهما وصفي حسي يتجلى في تعلق نفيسة بصفة الظلام ، ومن خلال هذا المكان المظلم ، تحس نفيسة بالألفة والاستمرار وذلك من خلال رغبتها في الحياة وتعلقها بها ،أما في المكان الثاني تحس نفيسة بالفراغ والخلاء وهذا يبدو في الشقة الخالية في قوله «وفتح الباب بمفتاح معه وهمس في أذنها (تفضلي) فقالت بتوسل :لنعد ،فدفعها برقة وهو يقول :لابد أن تشرفي البيت ، ودخل وراءها وأغلق الباب فوجدت نفسها في ظلام دامس،وارتفع وجهها إلى السقف في انتظار النور...»[2]وكذلك في شوارع شبرا ،وفي بيئة عطفة نصر الله حيث تحول الظلام الدامس إلى موت الحياة في شخصية نفيسة ، حين بدأت تبحث عن معنى وعن موقع لنفسها وكل هذا انعكس على نفسيتها .

أما شخصية "حسن" يبدو وكأنها متاهة ،فالاطار المكاني داخلي أوخارجي يعطي لهذه الشخصية الاحساس بالضيق والاختناق ، كما يبدو ذلك من خلال هذه الصورة المكانية:«...ثم اهتدى إلى عطفة جندب وهو على حال من التشاؤم ،مؤلمة ، وجدها عطفة

1– عثمان بدري ،بناء الشخصية الرئيسية ، ص ص ،131-132.
2– نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ،ص203.

ضيقة متعرجة ،تقوم على جانبيها بيوت متداعية ، وتسطع في هوائها الفاسد رائحة السمك المقلي...ودخلا حجرة صغيرة تكاد تقسم مناصفة بين فراش وصوان بينهما إلى الجدار الداخلي كنبة علقت فوق الحائط صور كبيرة تجمع بين حسن وامرأة لحيمة...»[1].

ولهذا نجد أن هذا المكان يشكل عالما من العلاقات الدلالية المتضمنة ، وتمثل ذلك في الإحساس بالفقر من طرف "حسن في هذا المكان الشعبي .

وتتجلى أيضا المعاني من خلال الوحدات المكانية الأساسية المتمثلة في المجال الخارجي لبيئة عطفة نصر الله الذي يتميز بالنسبة لشخصية "حسن" بالضيق والاكتظاظ والتلوث أو المجال الخاص بالبيت ، ونقصد هذا المجال الهندسي الذي يراه "حسن" وأنه يتميز بالقدم والتآكل والعفونة.

ضف إلى هذا أن حسين ،كما تطرقنا إليه سابقا .من خلال مجال دائري يتجلى أيضا من خلال قول الروائي :« ...وفي عصر اليوم مضى إلا فيلا أحمد بك يسرى بشارع طاهر و الواقع أنه كان يندفع بحيوية هائلة نحو الأصل الذي ركز فيه حياته جميعا فإما الحرية أو الموت...سيدي هذه هي الحياة إذ ركبتها ركبت طبقة بأسرها »[2].

ولهذا فالعلاقة بين حسين وهذا المجال المكاني الدائري ، ذات طابع بصري متحرك ويظهر هذا في بداية النص ، ذلك أن فعل الارسال البصري الموزع في عدة إتجاهات هنا لاترتبط بالأشياء في ذاتها بإعتبارها شيء موضعي ، ولهذا نجد تجاذبا بين مجموعة الأفعال البصرية الثلاثة المرسلة عبر الأشياء مثل "مسرحا طرفه " و" رآها رؤية غامضة.و"تنقل بصره الشارد" ومن ثم فالمكان الخارجي هنا يصبح مجالا لإسقاط دلالات

1– نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ،ص240.
2– المصدر نفسه ،ص ص 264 -265.

ومعاني قائمة على "حسنين" شعوريا وذهنيا وعاطفيا ، ولهذا فارتباط سرحان البصر بالشطر الأمامي من الحديقة هو الإرتباط بصفة حقيقية الحديقة[1].

وكما نلمس أيضا أن السياق الذي وضعت فيه الشخصية هو سياق الرجاء أي رجاء "حسنين" من البك ""أحمد سيري" أن يلحقه بمدرسة الكلية الحربية ، ولهذا يكتسب هذا المعنى مشروعيته ،فحسنين من خلال هذا المكان، يبحث عن صخب الحياة واستمراريتها ونلاحظ علاقة انسجام وتوافق بين حسنين وهذا المكان حسي.

والمجال الداخلي يتميز بممارسة الحياة في السر والخفاء ، ويرتبط هذا بالظلام والمتاهة خارج حدود المنطق وكذلك كلمة "دهليز".

وذلك في قوله :«...وارتاح لحظة من أفكاره فاستقر ناظره على دائرة حشائش كبيرة لتوسط المكان ما بين مدخل الفيلا والسلالم».

ولهذا إذا كانت العلاقة في المقطوعة السردية الأولى بين المجال المكاني والشخصية قد اتخذت شكل العموميات ،فيبدو ظهور الأشياء الحسية ملازما لظهور نظر حسنين وهذا ماتثبته بعض الأفعال :تسريح الطرق ،تنقل البصر ....أما في المقطوعة تالسردية الثانية نجد العكس من ذلك ،حتى نأخذ العلاقة صفة الخصوص بدل العموم ،ويتجلى ذلك في الوصف الرمزي ممثلا في الصورة النخلة وفي كل الصفات المسندة إليها كالبياض ،الظل الزاحف وغيره .[2]

ولهذا نجد وصف البعد المكاني في ذهن الفنان لاوعي الشخصية ، أو بمعنى آخر يتعامل لغويا مع هذه الأشياء لاكما هي أو كمايريدها ،ولكن كما يجب أن تكون ،في حين أن البعد المكاني هنا يبدو وقد ناب عن حضور البعد المباشر للشخصية ،ولهذا تدريجيا

1– ينظر :عثمان بدري ،بناء الشخصية الرئيسية ،ص145.
2– المرجع نفسه ،ص146.

يختفي الإحساس بالمكان ليحل محله الإحساس الذهني لشخصية " حسنين " زمن خلال تأملنا للأفعال والضمائر التي تتمثل في إسناد الشخصية إلى الغائب مثلا :يتخيل ،يزور ،يتحضر ،يخاف وكذلك :خاطره ،صدره ،عمره ،نصيب ولهذا نستنتج أن المكان هنا أثر على الشخصية ذهنيا[1].

وكما تبدو كذلك شخصية الفتاة التي وجدها حسين في الفيلا عند البك أحمد يسري مقترنة كذلك بالمجال المكاني الحسي :الفيلا ،بهو الإستقبال ،ولهذا فانجذاب" حسنين "إلى هذا المكان هو إحساسه بالفقر والتفاوت الطبقي والاجتماعي والاقتصادي للواقع ، وهذا مايمكن تجاهله في كل المجالات المكانية التي يبني من خلالها شخصيات الكاتب الرئيسية منها والثانوية .

هذا مانلمسه من خلال المكان الأول الذي كان في عطفة نصر الله وشوارع شبرا وإلى جانب طريقها الضيق تصطف على جانبيها البيوت القديمة .

فنفيسة مثلا ابتلت عينها بالدموع ،وكان حسين أقل من أثر فيه هذا التغيير الذي لحق أسرته ،أما حسنين فقد قال لأخيه معلقا على هذا التغير المكاني ،أن خسارة أبيه فعلا لاتعوض ، ويتذكرون شقاء أمهم ويتجلى ذلك في قول الروائي :«...وتسمرت أقدامها وراء الباب لمنظر غريب لم يتوقعاه ،رأيا أثاث البيت مكوما في الصالة في إضطراب شامل ،وقد رصدت المقاعد فوق الكنبات ... فقالت الأم ستترك الشقة ،إلى أين ؟ إلى الدور الثاني سنتبادل السكن ، مع صاحبة البيت ،شقة أرضية بمستوى الفناء الترب ،لاشرفة لها ولانوافذها مطلة على عطفة جانبية تكاد تبدو منها رؤوس المارة»[2].

ومن خلال هذا نستنتج أن المكان أحدث تغيير في نفوس الشخصيات ،أما بهية فهي الشخصية الوحيدة التي كانت من خلال هذا المكان القديم العتيق ،تتلقى فيه مع

1– عثمان بدري ،المرجع نفسه،ص148.
2– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص175.

حسنين،لهذا كانت بيئة عطفة نصر الله كلها ممثلة في هذا السطح ،وتبدو من خلالها عطفة نصر الله على الرغم من بؤسها وانعدام مرافق الحياة فيها ، وهنا نلمح انفصال شخصيتها عن هذا المكان .

ومع تطور الأحداث تغيرت الحياة حيث انتقلوا إلى مكان جديد الذي كان لهم بمثابة النور الأول في حياتهم ، بعد الشقاء والمتاعب التي واجهوها في عطفة نصر الله .

فكان المكان في شارع الزقازيق جميلا وساحرا ،ويتجلى هذا في قول الكاتب «... وانقضت الأيام في البحث عن مسكن جديد حتى اهتدوا إلى بيت بشارع الزقازيق بمصر الجديدة ،ذي موقع ساحر وايجار مستطاع على حد قول حسين وفي اليوم المحدد للإنتقال اجتمعت كلمتهم على حمل الأثاث مساءا على غير المألوف لإخفائه على أعين الناس...»[1]،أما نفيسة وعنصرتها الدهشة، فلم تتمالك نفسها وقالت لقد صرنا حقا من الطبقات العليا .

فالمكان أحدث تغيرا في أنفسهم ،فالشوارع مليئة بالحركة والعمارات والفيلات الفاخرة .

أما الأم فأخذت تفكر في ابنها "حسن " الذي لم يظهر مدة طويلة ،وبقيت تتذكر مآسيها الماضية ،إلى أن وصلت إلى هذا المكان الجديد ، وكانت سعادتها لاتوصف .والأمر نفسه مع عائلة فريد أفندي فقد رحبت بهية وأمها بهذا المكان ، ويظهر ذلك في قول الكاتب :«...جئنا نهنئ بالبيت الجديد جعله الله مقاما سعيدا...قالتها أم بهية ثم جلست هي والفتاة على الكنبة الجديدة...وأشنت ام بهية ثناءا جميلا على المسكن الجديد وحيه الباهر...»[2].

أما حسن أخوهم الأكبر ،أعجب بفكرة الرحيل وكانت هذه الفكرة تراوده منذ بداية العناء في عطفة نصر الله .

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص296.

2– المصدر نفسه ،ص297.

كما لاننسى ارتباط هذه الشخصية بمكان يدعى "مقهى علي صبري " التي توجد في الطريق العام ،حيث كان حسن يلعب الورق فتارة يربح وتارة أخرى يخسر ،كما تعلم فيه الغناء حيث كان يتدرب عند الأستاذ " علي صبري" وبعدها عرف كل أنواع الإنحراف .

أما "حسنين" فقد فارق المكان الذي ألفه منذ الصبا ، متجها إلى طنطا وهو بعيد عن القاهرة وكان هذا المكان جديد بالنسبة إليه فقد شاءت الأقدار بعد تحصله على الباكلوريا أن يوظف هناك ، لأن واقعه الإجتماعي فرض عليه ذلك ،وأقام في فندق بريطانيا بشارع الأمير فاروق ،إلاّ أنه لم يكن مرتاحا فيه ، كما جاء على لسان الراوي :«كانت حجرته صغيرة بالفندق ذات فراش لشخص واحد وصوان ومقعد خشبي ومشجب ،وكان جوها يشي بالرطوبة الكامنة ،إذ كان بها نافذة واحدة تفتح على عطفة جانبيه ضيقة ويحول بينها وبين الفضاء جدار بيت قديم ،فلم تجد الشمس سبيلا إليها...فوقع بصره على عطفة صغيرة تقوم على جانبيها بيوت قديمة ، فعجب للفارق الكبير بينها وبين الشارع الذي تتفرع منه...»[1].

ومن خلال هذا نرى أن "حسين " لم يعتد على هذا المكان الغريب بالنسبة إليه ، كما أن ايجاره كان مرتفعا ،لا يتوافق وإمكانية المادية.

وبالتالي نجد أن المؤلف جسد صورة المكان في روايته ،فبدت وكأنها مركز إسقاط نفسي لشخصية ،حيث ظهر المكان متناسبا مع مشاعر الشخصية وأفكارها ، وانعكاسا حقيقي لوضعه الاجتماعي .

-كما أن أغلب الأحداث في الرواية تدور في الاماكن المغلقة ،لأنه ركز بدرجة كبيرة على العلاقات الإنسانية والإجتماعية (الأسرة) و(بيت الجيران) و(عطفة جندب) و(عطفة نصر الله).

1- نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ،ص246.

وقد كان تأثير المكان كبيرا على الشخصيات ، وجعل بعضها يحس بالفشل والإحباط ويشعرها بعبثية الحياة وبؤسها ، ويعمق احتقارها لهذا المجتمع الذي غابت فيه العدالة غيابا كليا.

الفصل الثاني :

أنماط الشخصية الروائية وأساليب تقديمها

أولا :أنماط الشخصية الروائية

1-الشخصيات الرئيسية

2 -الشخصيات الثانوية

ثانيا :أساليب تقديم الشخصية

1-عبر السرد

2-عبر الوصف

3-عبر الحوار

أولا: أنماط الشخصية الروائية :

تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الكاتب الروائي ، وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي لذلك فالروائي لايقدم لنا الشخصية بأسلوب واحد ،فقد يسير معنا خطوة في بناءها ووصفها إذا من خلال «الشخصيات المتحركة ضمن خطوط الرواية الفنية ، ومن خلال تلك العلاقات الحية التي تربط كل شخصية بالأخريات إنما يستطيع الكاتب مسك زمام عمله وتطوير الحدث من نقطة البداية حتى لحظات التنوير في العمل الروائي ،وهذا مايأتي بطبيعة الحال وبصورة مدققة في رسم كل شخصية ويبين أبعادها وجزئياتها سواء كانت علاقات التكوين الخارجي والتصرفات والأحاديث الصادرة منها أم تلك المكونات النفسية الداخلية التي تتحكم في تسيير نوع خاص من السلوك الفردي والشخصية هي التي تحرك الحدث بل تولده ضمن سياق الرواية وعليه فالشخصية بوصفها عنصرا روائيا هاما لايمكن فصله بأي حال عن باقي العناصر» [1].

والشخصية انواع كثيرة وتصنيفات عديدة على سبيل المثال نجد عبد المالك مرتاض يقول في هذا:«الصدد النقد يضيف الشخصيات بحسب أدوارها عبر العمل الروائي،فإذا هناك ضروب من الشخصيات بحيث تصادف الشخصية المركزية التي تصادفها الشخصية الثانوية التي تصادفها الشخصية الخيالية من الاعتبار ،كما تصادف الشخصية المدورة والشخصية المسطحة ، وكذلك الشخصية الايجابية والشخصية السلبية ، كما تصادف الشخصية الثابتة والشخصية النامية »[2].

وسأقتصر في دراستي هذه على استخراج الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواية "بداية ونهاية ".

1– نصر الدين محمد (الشخصية في العمل الروائي) ،مجلة الفيصل الثقافية السعودية ،دار الفيصل الثقافية،العدد 37،1980،ص20.
2–عبد الملك مرتاض ،في نظرية الرواية ،ص87.

1-الشخصيات الرئيسية :هي الشخصيات الفنية التي يختارها القاص لتمثيل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار واحاسيس ،إذ يوجد في كل عمل روائي "شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية ،التي تعني أنهاّ شخصيات أقل أهمية ورعاية من قبل الكاتب فالشخصية الرئيسية هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام "[1].

وفي موقع آخر نجد أن الشخصية الرئيسية هي :« الشخصية التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام في الدراما أو الرواية أو أي أعمال أدبية وتعني الكلمة في أصلها اليوناني المقاتل الأوّل»[2].

ومن أهم الشخصيات الرئيسية في رواية "بداية ونهاية ".

1-حسنين: ويمتاز بدقة في قسمات وجهه ،أكسبته وضاءة ووسامة ،بوجه مستطيل وعينان عسيتان واسعتان ،وبشرة سمراء ضاربة إلى العمق .وهو مثال الشخصية الطموحة ، يرفض الواقع المر الذي يعيشه ،ونفسه دائما تهفو إلى مظاهر الثراء والسيادة والمركز حتى في أصعب الأوقات ، حيث انشغل عن الحزن على أبيه واهتم بمظهر الجنازة ،«كان يرجو لأبيه جنازة رائعوة تليق بمقامه ومكانته التي يجب أن يظهر بها أمام الناس»[3].

وبلغ به الأمر إلى التحديق في المشيعين ،ولم يرى فيهم أحدا يملأ العين ،إلاّ جارهم الكريم "فريد أفندي محمد" أما زوج خالته فكان من حكم العمال ،فحسنين شخصية تكوّن صورة سيئة بعض الشيء ،إلاّأنها نتيجة أخرى لتلك الضروف القاسية ، التي جعلت منه شخصية مرضية تهفو إلى فوق طاقتها ،بنفس ساخطة على واقع الأسرة ،فحالة الفقر و القهر الذي حال دون تحقيق طموحاته ،جعلت منه شخصية ثائرة ومتطلعة ،فطموحه كان

1–غسان كنفاني ،جماليات السرد في الخطاب الروائي ،ط1 ،المكتبة الوطنية ،دت ،ص131.
2–ابراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية،ط1 ،المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ،1988،ص211.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص165.

أسمى من واقعه وهذا مانجده عندما جلس مع حسنين في فيلا أحمد بك يسري(*) من أجل الوظيفة.

قال حسين:

خبرني كيف صار هذا البك غنيا ؟

لعله وجد نفسه غنيا

فالتمعت عين حسنين العسليتان وقال :

يجب أن نكون جميعا أغنياء .

وإذا لم يكن هذا ؟

فقال بحنق :إذن تثور وتقتل وتسرق [1].

إضافة إلى هذا ، نجد شخصية حسنين شديدة التأثر بالقيم الاجتماعية ويرفض كل ما يحط من قيمته ، ونلمس هذا من خلال رفضه للمهنة التي ستزاولها أخته "نفيسة" قائلا :«لن تكون أختي خياطة كلاّ ولن أكون أخا لخياطة»[2].

فقد شعر بالعار من عمل أخته لما يشعره ذلك بالوضاعة ،كما أن رغبته في الرقي الإجتماعي ، دفعته إلى الإنخراط في سلك الضباط ،إلاّ أن إنحراف أخيه ومزاولة أخته لمنهة الخياطة ،قلل من مكانته الإجتماعية ، فنظرة المجتمع إليه كضابط مرموق ، كان دافعا قويا لتغيير واقعه الاجتماعي بما يتوافق مع موقعه الجديد وفي نصحه لأخيه "حسن"

*– وكيل الداخلية وكان صديقا لوالده الراحل.
1– نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ،ص 237.
2– المصدر نفسه ،ص170.

قائلا :«أهجر هذه الحياة واختر لنفسك عملا شريفا كسابق عهدك»[1]، إلا أن ذلك لم يجد نفعا .

وبعد فسخ خطوبته مع بهية ،التي أحبها أثناء دراسته في المرحلة الثانوية ، وكان فسخه للخطوبة إستجابة لرأي مجتمعه ، قائلين :« لها عينان زرقاوان ،ولكن يغلب عليها الطابع البلدي و ممتلئة أكثر مما ينبغي قصيرة أكثر مما يستحب»[2].

–طمح إلى مصاهرة أسرة من الطبقة المترفة « وراح يفكر في محيط الفيلا الرائعة ،فانهالت على مخيلته الأحلام ، ماض جديد وبيت جديد ، وقبر جديد وأهل جدد ، ومال موفور وحياة وضاءة لامعة »[3].

إلاّ أن الأسرة العريقة رفضت ذلك بسبب انحراف أخيه .

ومازاد الموقع تأزما هو بحث "حسن " عن مهرب من الشرطة ولجوءه إلى بيت "حسنين" وكان في حالة مأساوية ،فتدافعت مشاعر حسنين ،عندما رأى أخاه بثياب ممزقة وجروح في جسده ،لكن مخاوفه على سمعته المهددة كانت أقوى من ذلك ،ويلي ذلك اكتشافه أن أخته تمارس الدعارة ،فكانت الضربة القاضية له ، فنجده يدفع بأخته إلى الإنتحار ،ويكون الدافع أساسا أنانيته وحرصه على ذاته ،فخطيئة أخته سوف تدمر مستقبله،فكانت نهايته هو الآخر الإنتحار .

فشخصية حسنين في هذه الرواية ،لم تكن شخصية مسطحة ،فقد ضلت شخصية غير واضحة وضوحا كاملا فحسنين الذي يسوده الحرمان والفقر ،حاول بطموحه مصاهرة عائلة أرستوقراطية مترفة ،فلم تقابله هذه الأخيرة ،إلاّ بالصد فحتى مستواه الثقافي ،ومركزه الراقي كضابط لم يشفع له .

1– نجيب محفوظ ،المؤلفات الكاملة ، ص 286 .
2– المصدر نفسه ،ص275.
3– المصدر نفسه ،ص282.

2-حسن :وهو أكبر الأبناء الذكور ،غير مثقف، يعتبر نموذجا للتشرد والصعلكة ، ومن أسباب انحرافه إفراط والده في تدليله ،فتمرد على الحياة الدراسية وانفصل عنها وهو في السنة الثالثة «وكان كثير الشجار مع والده ،وأحيانا يطرد من البيت ،فيمضي أياما متسكعا،ثم يعود إلى البيت وقد اكتسب شرورا جديدة »[1]، واتبع سبلا لا أخلاقية بالإدمان ورفقة السوء ،ولم يفلح حتى في حياته المهنية ، ولم يعد يهتم بغضب أبيه ولا بحزم أمه،ولم يعد يولي أدنى اعتبار لأحد ،فقد نشأ ولدا غير خاضع لأي سلطة ، «فانحرف وتاجر في المخدرات وعاشر العاهرات ، ولكنه لم يتوان في مساعدة أخويه في إتمام دراستهما،وكان سلوكه العدواني وسيلة لجلب الإنتباه لذاته التي تعاني الإهمال ،ولو بالسلوك المنحرف وإلحاق الأذى بالآخرين »[2]، حتى أن شعوره بالنبذ الإجتماعي ،جعله يفكر في ألا أحد سيؤويه بعد وفاة والده ،فقد كان دائما يقول له :لاأستطيع أن أعول رجلا خائبا مثلك إلى الأبد ،فما دمت قد نبذت الحياة المدرسية فشق سبيلك بنفسك ولاتلق بنفسك علي»[3].

وكان من الظلم أن يتذمر والده ،وهو المسؤول الأول والمساهم في تنشئته الاجتماعية،بعد أن أفرط في تدليله ،كما كان أبعد مايكون عن الايمان وهذا مانلمسه عندما قال محاورا أمه «أنت تقولين أن الله لاينسى عباده ،وأنا عبد من عباده ،فلننظر كيف يذكرنا،لماذا أخذا والدنا ؟ ولماذا يعلن عن حكمته على حساب أمثالنا من الضحايا ؟»[4].

بدأ انضمامه إلى فرقة على صبري الغنائية ، ومشاركته في المعارك التي تنشب بين الزبائن، وخاصة الزبائن الذين لايدفعون ثمن مايشربونه لحمروس الزنجي ، ومن النساء اللواتي عاشرهن نجد الست نساء ،التي استدعته إلى غرفتها ، ودفعت له ثمن الليلة التي قضاها معها .

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص169.
2– محمد مساعي ، تفسير السلوك الإنساني في روايات نجيب محفوظ ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2004،ص271.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص164.
4– المصدر نفسه ،ص169.

ورغم هذه الحياة الآثمة ،لم يتوانى على مساعدة عائلته التي كان يزورها في فترات متباعدة ،سألته نفيسة قائلة :لانراك إلى كزائر ،إلا أنه تجاهل استفساراتهم الكثيرة وسألهم بدوره قائلا :متى أكلتم اللحم آخر مرة ؟[1].

وكان تماديه في انحرافه ،أدى إلى اتساع دائرة الخطأ ،فتاجر في المخدرات وتعرض لإعتداء وحشي كاد يؤدي بحياته وكان مصدرات لتخوفات أخيه حسنين.فشخصية حسن شخصية ضائعة ، جرفها تيار الحياة ،فاستقرت في الدرك الأسفل من المجتمع.

3-**حسين:** له وجه مستطيل وعينان عسليتان واسعتان ، وبشرة سمراء ضاربة إلى العمق،وهو الطبقة المثقفة لكنه من عالم البرجوازوية الصغير ومثال للتضحية بالمصالح الشخصية، فما إن حصل على البكالوريا بعد وفاة والده بعام واحد حتى سعى إلى وظيفة من أجل مساعدة أسرته وانتشالها من دوّامة البؤس الذي تعيش فيه ، وساعدهم بك يسرى،وعينه كاتبا بالمدرسة الثانوية بطنطا ،فقد كان مؤمنا بضرورة التضامن مع أسرته،فضحى بدارسته العليا في سبيل ذلك .

تمتاز شخصية حسين بالإستقامة وضبط النفس وذات تفكير متزن مسلما بالقدر ومشيئته،وهذا مانلمسه في حواره مع أخيه حسنين.

«فسأل حسنين في جزع :كيف نطيق هذه الحياة ؟».

فارتسمت على شفتي حسين ابتسامة حزينة ،كان يشارك أخاه حزنه وقلقه ولكنه رأى من الحكمة أن يقف منه موقف المعارضة ،فقال : كما يطبقها الكثيرون أم حسيت الناس جميعا يحضون بأب كريم ورزق موفور ؟.ومع ذلك فهم يعيشون ولا ينتحرون»[2].

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص333.
2– المصدر نفسه ،ص172.

فحسين شخصية مؤمنة بالله ، طاهرة وشريفة ، وهذا راجع إلى تنشئته الإجتماعية الموفقة ، وهذا ماورد على لسان الراوي «وكان حسين وحسنين شاهدين على حزم الأم وحسن تربيتهما»[1].

قبل مساعدة أخيه حسن من أجل إتمام توظيفه مرغما كمن يقبل شرب الخمر خشية أن يموت من الضمأ .ولأن أسرته علقت كل لآمالها عليه ، ونجده يتحدث بصدر مليء بالضيق والمرارة قائلا :«...شيء واحد يستحق اللعنة ،هو الحياة ،الحياة والحظ والوالدان اللذان أتيا بنا إلى هذه الدنيا ،كان يلعب بأوتار العود »، ولايبالي بشيء !...سحقالي كيف افكر ؟هيهات أن أهب مخيلتي صورة جثمانه ،رحمة الله عليه ،ليس الذنب ذنبه ».ويتحدث عن الملومين والتعساء ، قائلا : ياللعجب ،إن مصر تأكل بينها بلا رحمة مع هذا يقال عن إننا شعب راض ،....لولا الفقر لواصلت تعليمي ،هل في ذلك شك ؟ الجاه والحظ والمهن المحترمة في بلادنا هذا وراثيه»[2].

وشخصية حسين لعبت دورا فعالا في تحريك أحداث الرواية ، إذ عن طريق التضحية بمستقبله ، و التحاقه بعمله في طنطا ،تمكن حسين من تحقيق طموحاته ،وقد اتخذه نجيب محفوظ وسيلة للتعبير عن ايديولوجيته ، وهذا ما نلمسه من خلال حواره مع أحد المسافرين في طريقه إلى طنطا ،قال الرجل بسرور :

سيحكم النحاس إلى الأبد ،انتهى عهد الانتقالات ،حضرتك وفدي.

نعم[3].

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص167.
2– المصدر نفسه ،ص245.
3– المصدر نفسه ،ص246.

4-الأم : وهي مثال للشخصية المكافحة الصبورة ،غير مثقفة ، لها وجه نحيل بيضاوي وأنف عصير غليظ ، وذقنها مدبب ، وجسمها نحيل قصير ،سلكت دروب وعرة من أجل الحفاظ على كرامة أسرتها،«وكانت محور البيت الأول بل على الأرجح ،تقوم بدور الأب»[1].

بعد وفاة زوجة -كامل أفندي علي – أرهقها الفقر والحرمان إلاّ أن لاشيء من كل هذا تمكن من إركاعها .إذ لم يكن بوسعها أن تستسلم لهذا الفقر الذي نهشها نفسا وجسدا،فقد رحل معيلها«وقد ترك في محفضته جنيهين وسبعين قرشا»[2]، تحاول ان تبني بها مستقبلها الغامض انطلاقا من حاضرها المنهار من أساسه ،بقلب مفعم بالإيمان بالله،وتطمئن عائلتها بقولها ،«فلا يجوز إذن أن نييأس من رحمة الله ولكن ينبغي أن نعرف رأسنا من قدمنا وإلّا هلكنا ،وأن نوطن نفوسنا على تحمل ما قدر لنا من حظ بصبر وكرامة وربنا معنا»[3] اضطرتها ظروفها البائسة على بيع فراش زوجها وأثاث بيتها ، وغادرت شقتها إلى « شقة أرضية بمستوى الفناء الترب لا شرفة لها ونوافذها مطلة على عطفة جانبية ،تكاد تبدو منها رؤوس المارة ، وطبعا محرومة من الشمس والهواء»[4].فعلت هذا من أجل إسكات البطون الفارغة ،وتوفير بعض القروش .

كما أن شخصية الأم هي مثال للشخصية المحافظة ،وهذا ما تلمسه عندما زارت "أحمد بك يسري" عندما لبثت في مكانها ، دون أن ترفع النقاب الأسود على وجهها ، كما أنها متمسكة بالقيم والعادات وهذا نلمسه ،عندما اقترح عليها حسين إعادة هدية زوجة فريد أفندي فقالت معترضة:«يعد مثل هذاالعمل معيبا لا أثر للمودة فيه»[5]،فهي حريصة على ابقاءالعلاقات الاجتماعية على أحسن ما يرام ،فقد كانت حريصة على حسن وتحثه على

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص167.
2– المصدر نفسه ،ص169.
3– المصدر نفسه ،ص168.
4– المصدر نفسه ،ص175.
5– المصدر نفسه ،ص179.

البحث عن عمل شريف وهذا ما ورد على لسان الراوي «وتنهدت في يأس،إنها حيال مشكلة حقا أخاف أن يستسلم لحياة البطالة،والكسل والتسكع ،خاصة إذا فتر تأثره بموت أبيه،فقالت برجاء ،أرجو أن تبحث بجد وإخلاص عن عمل»[1]، ومن جهة أخرى كانت تحث ابنيها حسين وحسنين على الدراسة، وحرمانهما من المصروف اليومي ، أما إلحاحها على نفيسة أن تمارس الخياطة ،على وضاعة هذا العمل ،لم يكن إلاّ نتيجة للعوز ،الذي اضطرها إلى إستغلال كل مكسب على أن يكون شريفاً في سبيل النهوض بأسرتها المنكوبة .

إذن فحياة هذه الأم الأرملة ،كانت جد قاسية ،فالروائي حمّلها ملا تطيق،دمر أسرتها،مزقها تمزيقا بشعا وفي هذا الإطار يصرح نجيب محفوظ «إن خاتمة الأسرة المصرية،التي تناولتها القصة كانت في الواقع خاتمة سعيدة ، ولكني فضلت أن أعرض قصتها منتهية هكذا مأساة ،حتى أستطيع أن أشحن عواطف القراء بانفعالات كالتي بعثتي على كتابتها»[2] إلا أن هناك تناقض في شخصية الأم ، فهي على حزمها وجديتها ،لم تولي ابنتها الرعاية والاهتمام الكافيين مما أدى إلى انحرافها وغرقها في مستنقع الرذيلة .

5-نفيسة : وهي نموذج للمرأة الفقيرة ،فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها ،غير مثقفة،«ذات وجه بيضاوي نتحيل أنف قصير غليظ وذقن مدبب، شحوب في البشرة،وإحديداب قليل على أعلى الظهر ، ولم تكن تختلف عن أمها إلاّ في طولها المماثل لطول شقيقها حسنين»[3]،وهي البنت الوحيدة بين ثلاث ذكور بلا مال ، ولا جمال ولا أدب، كان يوجد هناك قلبان يقلقان عليها ، وعلى مستقبلها ، هما أبوها الذي خطفه الموت ،وأمها التي انشغلت بهموم الأسرة ،لقد مات الأب ولم يستطع المجتمع تعويضه واشتغلت خياطة لتساعد اسرتها ، بعد إلحاح من والدتها ، مما فتح لها باب الإنحراف وتعلقت بسلمان جابر البقال ،رغم أنه لم يكن من النوع الذي تتوق إليه إلاّ أن حرمانها لم يترك لها مجال

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص169.
2– عودة الله منيع القيسي ، نجيب محفوظ ،تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواياته ،ط1، الأردن ، 2007،ص113.
3– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ، نص167.

للإختبار ، وكان أول رجل بعث فيها الثقة والطمأنينة على أنها امرأة كباقي النساء ،تحملت تأثير الوعود بالزواج، واتسعت دائرة الخطأ حتى وصلت إلى منزله« وتناول ساعديها وأمطره قبلات من شفتيه الغليضتين .....ثم تزحزحت بعيدا عن جبينه الملتصق بها لتسترد أنفاسها»[1]،إذن ارتمت في شباكه ،وأفقدها أعز ما تملك كما أنه كان محكوما بإرادة والده الذي خطب له فتاة أخرى .

رغم غرقها في وحل الرذيلة ،إلاّ أن روحها الطيبة ونفسها النبيلة لاتزال قائمة ،إذ لم يكن حزنها على نفسها حين قبض عليها في بيت الدعارة وإنما هي الكارثة التي ستسببها للأسرة .وهذا مانلمسه عندما قالت لأخيها حسين عندما همّ بقتلها :

«قف،لاتفعل،لست أخاف على نفسي ولكني أخاف عليك ، لاأريد أن يمسك سوء بسببي،وأضافت :

لاينبغي أن يمسك عقاب وإن هان ،ثم بماذا تجيب إذا سئلت عما دفعك إلى قتلي ؟! دعني أقم أنا بهذه المهمة فلا يكدرك مكدر ولايدري أحد »[2].

فكان انتحارها نهاية منطقية لتلك السلسلة المتصلة من الآلام التي ملأت حياتها وأرهقتها أيما إرهاق ،ووسمت حياتها بسمة الشقاء والفاقة والهوان ، وكانت جثتها الطافية فوق النيل ليست إلا تجسيدا للآلام الموجودة في المجتمع والفروق الطبقية التي ستطفوا إلى سطح الحياة، ويعيها كل فرد ذاق ويلاتها وتجرع مرارتها ،كما طفت جثة نفيسة فوق سطح نهر النيل العظيم .

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ، ص204.
2– المصدر نفسه ،ص318.

2-الشخصيات الثانوية: وهي الشخصيات التي تكون العامل المساعد لربط الأحداث واكتمالها في الرواية فهي : «التي تضيئ الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية وتكون إما بعوامل كشف الشخصية المركزية ، وتعديل سلوكها وإما تبعاً لها ، تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها»[1].

ومن جهة أخرى يقول «"محمد علي سلامة":« الشخصيات الثانوية مشاركة في الحدث وليست مجرد ظلال معنى هذا أن الشخصية الثانوية لها مكانتها أو دورها في الرواية ، والكاتب المتمكن هو الذي لايستغرق كل فئة من شخصيته الرئيسية ،بل يهتم بشخصياته الثانوية»[2].

ومن اهم الشخصيات الثانوية في رواية "بداية ونهاية " نجد :

1-بهية: وهي صورة للمرأة البرجوازية المتوسطة ، لم تكمل تعليمها الإبتدائي ، لها عينان زرقاوان ، بشرة نقية ، وجسمها ممتلئ ، وهي ميالة إلى القصر ، تعد مثلا للفتاة المحافظة،لازمت البيت منتظرة الرجل الذي سيطلب يدها ، وهي لا تساير التطور الحضاري إلاّفي ملابسها .

فبهية تدور في إطار محافظ يمثل شوق المرأة إلى بناء أسرة ، ولطالما كان حسنين متلهفا لينال منها قبلة ، أو يلمس يدها ،إلاّ أنه لم ينل مراده ، وكانت تصده وتعاقبه «ألم تقرأ ما تنشره الصباح عن فتيات مهجورات لاستهتارهن ؟ ألاّ تسمع الراديو ؟»[3]. وقالت له أيضا،«...قالت لي أمي مرة ، إن الفتاة التي تتشبه بالعشاق كما يظهرون في السنما ، فتاة ساقطة خائبة الأمل » [4] .

1–غسان كنفاني ، جمليات السرد في الخطاب الروائي ، ص132.
2–محمد علي سلامة ، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ ، ص ص 27-28.
3- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص206.
4–المصدر نفسه ،ص207.

فتأثرها بالجو الأسري المحافظ وتربة الأم صنع منها مثلا في العفة والشرف كونها شخصية ثانوية إلاّ أنها ، لعبت دورا كبيرا في مسار الأحداث ،وكشفت لنا جوانب عديدة من شخصية حسنين .

2-فريد أفندي : وهو من الطبقة البرجوازية المتوسطة و ، وهو« بدين مفرط البدانة ، ذا كرش عظيمة ، ووجهه مستدير ،مكتنز لاحت فيه قسمات دقيقة صغيرة ، على أن بدانته وكهولته ،وأناقته أضفت عليه وقارا ، مما يعتز به موظفو الحكومة »[1] كان صديقا وفيا للمرحوم كامل علي أفندي ، وهذا من خلال طلبه اجازة من الوزارة ، وقيامه بطرق الدفنة،وكان يتردد مع زوجته إلى البيت المرحوم ، بحكم العشرة، وقد أشار الراوي إلا أنه كان ممن لايبرحون بيوتهم بغير داع «ويرى طيلة فراغه متربعا على الكنبة ، من حوله زوجته وبهية إبنته ، وسالم ابنه الصغير»[2].

3-سلمان جابر : وهو ابن بقال بسيط ، ولا تعلو منزلته في دكان أبيه عن صبي ، قامته طويلة ، ووجهه بيضاوي ، أسمر وعينيه ضيقتين ، وهو شاب عديم الأخلاق ،سلك سبيل الغواية ، حتى أوقع بنفيسة بين يديه ،«كان قسماته تشبه الغباء والحيوانية ،والجبن وكان شاربه الصغير الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتصف بالجمال في وجهه »[3]، تمكن من هز قلب نفيسة، فقد كان يقول لها كلمات أذهبت عنها لبها.«يقول قلبي إنه سر لرؤياك وينتظره على لهفة »[4]. استطاع استرجاعها بخبث ، وكان يعبر لها عن مشاعره التي أثبتت الأيام زيفها .

4-علي صبري : وهو رجل منحرف ،لايأبه لشيء على الإطلاق وهو مدمن الحشيش والأفيون والكوكايين ، وهو في منتصف العقد الثالث ، متوسط القامة ، نحيل وصغير

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص165.
2– المصدر نفسه، ص186.
3– المصدر نفسه ،ص191.
4– المصدر نفسه، ص192.

القسمات ،أما شعره فأشبه ما يكون بشعر حسن ،إلى سوالف تزحف حتى منتصف خده ، كان يُحي بعض الحفلات في المحطات الأهلية ،إلاّ أن هذه المحطات ألغيت وأنشأت محطة الإذاعة الرسمية ،فلم يعد يمارس نشاطه ،وكان حسن أحد أفراد فرقته ، فأصبحو يحيون الحفلات ويتاجرون بالمخدرات ، وكان علي صبري أحد الذين ساهموا في إدخال حسن إلى عالم الإنحراف وكان يقول «أكره الناس إليّ من يقول :أخلاقي لاتسمح لي بكيت وبكيت ،أومن يقول إتق اللّه،أو يتساءل في خوف البوليس؟»[1].

5-الست زينب الخنفاء :إمرأة تجاوزت الأربعين ، وهي محرومة من نعمة الجمال كما ورد على لسان الراوي «ليس لها من الجمال عدا جسمها البقري »[2]، ولكنها ذات ساعدين مثقلين بالذهب تنتمي إلى الطبقة المتقدمة في المجتمع ، التي لا تولي أدنى إعتبار للقيم والأخلاق ، تملك فتيات يحترفن البغاء.

6-الست سناء : ذات سمرة عميقة ،وشعر جعد وجسم مكتنز، إشتهرت بشفتين غليضتين،وهي امرأة داعرة ، اتخذت حسن عشيقا لها بعد انتصاره في معركته مع محروس الزنجي ، وقد تمكن حسن من مساعدة أخيه حسنين في الإلتحاق بالوظيفة في طنطا،بواسطة أساور هذه المرأة المومس .

7-محمد الفل : صاحب قوام معتدل ،ووجه معروق صلب ، ووجنتين بارزتين ،وأنف ضخم صخري ، وفم عريض ، وهو من طلاب اللهو والشهوة ، وهو أحد الذين إستجابت لهم نفيسة ،وقد اصطحبها معه في السيارة ناشدا المتعة ، ثم ألقى إليها بنصف ريا ل دون أن يتكلف موعدا آخر ، وقد بعث ذلك ألما وحزنا في نفسها «ألاّ يجوز أنها لم ترق له ولم تعجبه ؟»[3] ، مما أدى إلى شعورها بالحزن .

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص212.
2- المصدر نفسه ،ص224.
3–المصدر نفسه ،ص232.

8-أحمد بك يسري : وهو من الطبقة الأستقراطية المترفة ، « ثم نزل منها رجل ينم مظهره على الألقاب والرتب ، وتقدم بجسمه الطويل العريض الذي عقدت عليه الخمسون هالة من وقار »[1] ، وهو مفتش الداخلية وصديق حميم لكامل أفندي علي ، وقد قصدته زوجة المرحوم من أجل صرف المعاش «وكانت كبيرة الرجاء في هذا الصديق العظيم الذي طالما ذكره المرحوم بالحب وقد كان المرحوم يقضي ،أكثر سهراته في هذه الفيلا »[2]وقد كان كريما معها ، ولم يتوان على مساعدتها .

9-صاحبة البيت (الست زينب): تبدو سيدة طيبة ، وهذا يظهر عندما طلبت الأم منها أن تكافئ نفيسة على عملها ، فقالت بلا تردد :«أبدا ياست ام حسن ، هذا حق وعدل ،وهيهات أن نوفي ماعلينا من دين لست نفيسة »[3]، لعبت دورا هاما في كسب نفيسة للنقود وبالتالي مساعدة عائلتها ، تملك ابتسامة رائعة تنم عن طيبة قلبها :

جئت بعروس جديدة .

فضحكت نفيسة ضحكة سرور وقالت :

يحق لي ان أطلق على نفسي خياطة العرائس[4].

10-كريمة أحمد بك يسري : ذات بشرة نقية ، تزين خدها شامة ، ذات طول ممتلئ وعينين سوداوين تنم عن حيوية وخفة ، وشعرها أسود عميق السواد ، وهي تمثل لحسنين «رمزا حيا للدنيا الراقية التي يتطلع إليها بشغف جنوني ، لم تكن فتاة بقدر ماكانت طبقة وحياة »[5].

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص125.
2– المصدر نفسه ،ص181.
3– المصدر نفسه ،ص180
4– المصدر نفسه ،ص213.
5– المصدر نفسه ،ص278.

وهي الفتاة التي فتحت أبواب آماله الواسعة في الرقي إلى الطبقة العليا وهي السبب الذي أدى به إلى فسخ خطوبته مع بهية ، لم يحب كريمة أحمد بك يسري ، فنظرته إليها لا تتعدى حدود طموحه لإمتلاك الفيلا والفتاة ، وكأنها صارت في نظره حاجة من حاجياته الملحة ، ووسيلة انتقال من طبقته إلى الطبقة المترفة .

ثانيا-أساليب تقديم الشخصية :

1-عبر السرد :

أ-مفهوم السرد :Narration:

السرد أو القص هو فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة ، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب ، فالسرد يشمل على سبيل التوسع ، مجمل الظروف المكانية والزمنية، الواقعية و الخيالية ، التي يحيط به ، فالسرد عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج ، والمروي له في السرد من خلال الأسئلة المباشرة أو غير المباشرة التي يطرحها الأول ليضمن حسن متابعة الثاني لحكايته ، ويشرك الراوي أحيانا شخصيات الرواية في السرد ، فيضع على ألسنتهم أجزاء من الخطاب (شهادة ، رسالة ، حكاية) ، وقد يحصر معرفته بالأحداث بما تعرض في الشخصية ، أو بما يبدو منها ، أن يوسع هذه المعرفة لتصبح بلا حدود في الرواية [1].

فالسرد هو قول صادر من السارد، يستحضر به عالما خياليا مكونا من أشخاص يتحركون في إطار زماني ومكاني محدد ، ومادام السرد قولا فهو لغة ، ومن ثم فإنه يخضع لما تخضع له اللغة من قوانين وأهداف[2].

1– لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار ، بيروت ،2002،ص105.
2– عبد الرحيم الكردي ، السرد في الرواية المعاصرة ،ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2006،ص145.

وعاينه آخرون بوصفه «متوالية من الأحداث ، أو بوصفه خطايا ينتجه ساردا أو بصفة نتاجا اصطناعيا ينظمه قراؤه ويمنحونه معنى»[1].

أنواع السرد :

1-السرد الموضوعي : نعني به أن الراوي أو الكاتب يبرز واضحا ومهيمنا على القص السردي ،إذ يبقى هو المسيطر على الفضاء السردي .

2-السرد الذاتي:وفي هذا النوع نجد أن الشخصية الروائية هي الساردة والمتحكمة بمنطق السرد وتفعيلاته ، يختفي الراوي ليفسح المجال للشخصية بالدخول في مغامرة إثبات الذات داخل الراوية من خلال منطق السرد الحكائي[2].

3-**السرد المتداخل :** هو السرد الذي تتداخل فيه المقاطع السردية المنتمية إلى أزمنة مختلفة (الحاضر ، الماضي والمستقبل) ، ويتمثل هذا السرد في الروايات التراسلية ، وفي الروايات التي تتخذ شكل المذكرات الحميمية[3].

ج-وظائف السرد :

1-طاقة تكمن في الخطاب السردي تختص بتوجيه الدلالة او التعبير عن المضمون من خلال زاوية الرؤية الخيالية ، وهي الزاوية التي تحدد شكل الأشياء كلها في الرواية ،وتصدر عن الرواية ؛ وقد ربط الأسلوبيون بين هذه الوظيفة (زاوية الرؤية) في السرد والوظيفة التواصلية في اللغة (أي الوظيفة التي أطلق عليها (هاليداي) مصطلح (interpersonal) بل نجدها شيئا واحدا ،لأن السرد قول ، والقول لايخرج عن نطاق اللغة وأحكامها ،بل هو لغة .

1– والاس مارتن ، تر ، حياة جاسم محمد ، نظرية السرد الحديثة ، دط ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998،ص106.
2– محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ، جميلات التشكيل الروائي ،ص271.
3– لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص ص107-108.

2-الوظيفة المتعلقة بتركيب السرد ، وبحجمه ، بتناسب أجزائه ويؤثر هذا التركيب وهذا التناسب في الحجم في صنع الدلالة ، والتعبير عن المضمون ، وهذه الوظيفة لاتعتمد على الراوي ،بل تعتمد على النص نفسه ، باعتباره عنصر من عناصر العمل الروائي ، ويطلق الأسلوبيين على هذه الوظيفية في السرد الروائي (التتابع القصصي) (Fictionnel sequencing) .

3-الطاقة أو الوظيفة الخاصة بالرؤية القولية ، والذي يقوم بهذه الرؤية ويحدد زاويتها هو السارد وموقعه [1] .

4-الوظيفة الإيديولوجية وتتمثل في التعليق على الأحداث ، مما يجعلها تكاد تتحول إلى وعظ مباشر ، من خلال المواقف الصريحة التي يتخذها الراوي / المؤلف إلى جانب هذه الشخصية أو تلك ، وتظهر من خلال الأوصاف الحسنة أو السيئة ؛ كما نجد هذا مجسد في رواية " بداية ونهاية " كشخصية (الأم ، حسين ، الست زينب) من الشخصيات الحسنة،(وحسن والست سناء) من الشخصيات السيئة [2].

إن السرد كما قلنا عليه هو ذلك الفعل الذي يقوم به الراوي الذي ينتج القصة وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب ، فنجد الكاتب يسرد لنا كلاما له معنى وهدف،فالقارئ المحلل للرواية سيكتشف هذا السرد ، وبما أن السرد قولا فهو لغة ، ومن ثم فهو يخضع لما تخضع له اللغة من قوانين وأهداف ، مثلا نجد مقطع من الرواية :« وعادوا إلى الحديث والذكريات طويلا، ولكنه لم يعد يسعه أن يملك خياله الذي ينازعه إلى الشقة العليا! وكان يجد صعوبة في قطع الحديث والإفصاح عن رغبته في زيارة جارهم فريد أفندي، وأخيرا قال

1– عبد الرحيم الكردي ، السرد في الرواية المعاصرة ،ص ص 151-152.
2– إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية) ، دط ، دار الآفاق ، الجزائر ،1999، ص119.

بعدم الإكتراث :«آنّ لي أن أترككما للذهاب إلى السينما ولعلي أجد بعض الوقت لزيارة فريد أفندي»[1].

وفي جانب آخر نجد الكاتب يتحدث عن هذه العائلة لما انتقلت إلى المسكن الجديد بلغة راقية «وانقضت الأيام في البحث عن مسكن جديد حتى اهتدوا إلى بيت بشارع الزقازيق بمصر الجديدة، ذي موقع ساحر وإيجار مستطاع على حدّ قول حسنين، وفي اليوم المحدّد للانتقال اجتمعت كلمتهم على حمل الأثاث مساء على غير المألوف لإخفائه عن أعين المستطلعين، ونفذ ذلك، ولبث حسنين في الشقة مع الأثاث المكوم على حين عاد حسين إلى عطفة نصرالله ليصحب أمه وأخته إلى المقام الجديد»[2].

وهكذا نلاحظ ،أن السرد يختلف إما أن يكون من شخصيات أخرى أو الراوي نفسه؛فالكاتب قد يجعل أحداث الرواية وأوصاف الناس فيها وهيئاتهم وأفكارهم وأحاديثهم موصوفة من خلال لغة السارد أو أكثر ، أو حسب رؤيته أو من خلال عقلية الراوي بحيث لاتتاح فرصة لأي شخصية من الشخصيات كي تعبر عن نفسها عن طريق القول أو الفعل إلاّ من خلال هذا الراوي ، والقراء لايرون إلاّ صورة هذا الراوي وهو يحكي لهم عما حدث أو عما قيل،وقد يكون هذا الراوي هو نفسه السارد وقد لايكون ، وهذا ملا نلحظه عند نجيب محفوظ فهو يعطي الحرية للشخصيات في الرواية للتعبير عن أنفسهم أو عن أحاسيسهم ومشاعرهم وهذا مايتجلى من خلال بعض المقاطع من الرواية :« – أتريدين أن تجعل من شقيقيك متسولين في بيوت البقالين؟فقهقه الشاب قائلاً لأخته ،إني أدرك تغيظك يا ست نفيسة فإنّ اعتداءك على العروس حرمك حق الدعوة إلى هذه الليلة، ولكن ما ذنب هذين المسكينين؟! ليس الأمر لهؤا ولعبّا ولكن طيورًا ولحوما وفطائر وخضرا وفاكهة وحلوى.... ففكر ثم فكر»[3].

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص272.
2– المصدر نفسه ،ص296.
3– المصدر نفسه ،ص222.

ويظهر السرد من خلال الرواية في المشاهد الحوارية الخالصة ؛ أي الأسلوب الحر المباشر، فمثلا نجد حوار حسن مع عم جابر« عفا الله عنك... وسعل حسن سعالا مصطنعا وقال بلهجة جديدة دون تلعثم :

لا أحب أن أطيل عليك. آن لي أن أذهب شاكرًا بعد قبض مقدّم الأتعاب. . .

فقال العجوز بجزع :

الآن ؟!

خير البر عاجله. لست إلا مغنيا متواضعا لا تتعدّى أتعابه الخمسة جنيهات.

وصمت الرجل متحيرا حينا. ثم قال لنفسه والأمر لله من قبل و من بعد» و فتح درج المكتب و تناول جنيها ووضعه على المكتب فأخذه حسن وذهب وهو يقول:

ربنا يتمم بخير....»[1] :

ومهما يكن من أمر السرد الذي ليس من مهمته أن يصور الأشياء ، بل يكتفي بذكرها لنا فقط ، فلا نحس أننا نراها ،إلاّ أنه يعتبر خليفية لما يقدمه لنا الحوار ، بين الشخوص من مشاهدة عبر الأوراق والأفعال والأفكار التي تبدو أمام أعيننا .

2-عبر الوصف :

1-مفهوم الوصف :DESCRIPTION :

هو تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث فى وجود ها و وظيفتها، مكانيا لا زمانيا. قد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل على القارئ الفهم والمتابعة ،أو يؤخر تحديده إلى نهاية الوصف لخلق الإنتظار والتشويق .

هناك طرق مختلفة للوصف منها :

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص218.

أ- بيان الحال (Aspectualisation) الذى يقوم على تعيين الخصائص الأساسية للموصوف (الشكل ، اللون ، الحجم . .)[1].

وهذا ما تطرقنا إليه في الجزء الخاص بأنماط الشخصية الروائية وذلك بإعتبار هذه الطريقة هي وصف للشخصيات من شكل ولون وحجم وغيره ، كما نجد الكاتب يتحدث عن عديلة وهي خطيبة سلمان البقال «متوسطة القامة ، بيضاء البشرة ، بيضاوية الوجه ، كبيرة القسمات ولكن في تناسق حسن ، سمينة لحد الإفراط» [2].

وأيضا وصفه لفريد أفندي بقوله «هو بدين مفرط البدانة ، ذا كرش عظيمة ، ووجه مستدير،مكتنز لاحت فيه قسمات دقيقة صغيرة ، على أن بدانته وكهولة ، وأناقته أضفت عليه وقارا » [3].

ب-بيان العلاقة (mise en relation) يقوم على تعيين موقع الموصوف داخلى المكان والزمان أو على مقارنته بموصوفات أخرى من خلال التشبيه والاستعارة وصيغ الموازنة والنفي (ليس هو كذا ، ليس عنده كذا....) [4] .

ويظهر من ذلك من خلال موقع الموصوف داخل المكان والزمان ويتجلى ذلك في حوار حسين والمسافر حينما كان في طريقه إلى طنطا «هل أنت وفدي؟، قرأت هذا في سماحة وجهك » [5].

وأيضا في وصفه إلى سلمان البقال الشاب الذي قاد نفيسة إلى طريق الإنحراف «كانت قسماته تشي بالغباء والحيوانية ، الجبن وكان شاربه الصغير الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتصف بالجمال في وجهه»[6].

1- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية،ص171.
2-نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص208.
3- المصدر نفسه ،ص165.
4- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية،ص171.
5- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص245.
6 -المصدر نفسه ،ص191.

إن الوصف باعتباره علامة دالة داخل النسيج الروائي ، تقديم علاقات متعددة مع مجمل عناصر الكتابة الروائية ، فهو إلى جانب كونه يسم كل ماهو موجود بميسم خاص ومميز ، يحدد نوعية الأشياء من حيث دلالتها الإجتماعية ، ونوعية تفكير الذات المستحضرة والواصفة لها ، وتكوينها النفسي وانتقاءاتها الطبقية[1].

إن الرواية باعتبارها تقدم أحداثا وأفعالاً، فإنها بالضرورة تقدم سردا روائيا، غير أن تلك الأحداث والأفعال تتطلب وجود سببية متمثلة في وجود طاقة إنسانية أو إنسانوية،ووجود محيط زماني ومكاني يؤطرها، ومن ثمة ضرورة الشخصيات والأمكنة والأشياء. وهي العناصر التي تشكل الفاعلية المحركة الديمومة السرد الروائي، الذي من سماته أنه "يكتفى بالتسميات الخالصة، البسيطة ويهدد الليونة الهيكلية،فكل هذه الأشياء والأمكنة والشخصيات أي كل عناصر الرواية[2].

2-أنماط الوصف:

الوصف البسيط: ونقصد به الوصف الذي يعطى من خلال جملة وصفية مهيمنة قصيرة،لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى، ويتحقق ذلك في الغالب حين يتم الإستغناء عن الأجزاء والصفات، كالإقتصار أثناء وصف الشخصيات، على تراكيب وصفية موجزة مثل (رجل وسيم) ،(كان رجلا نحيفا..)[3].

الوصف المركب: ونقصد به الوصف الذي ينصب على الشيء الموصوف (العنوان) الذي ينتمي إلى السرد الروائي، شريطة كون هذا الوصف معقادا، إما بفضل الانتقال من الموصوف إلى المحيط العام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه.

الوصف الانتشاري: ونقصد بالوصف الانتشاري، ذلك الوصف الذي يواكب الأشياء والمشاهد و اللوحات، بشكل يسمح له أن يصير محورا مهيمنا، بخضع لمشيئته محور

1-عبد اللطيف محفوظ ،وظيفة الوصف في الرواية ، ط1، منشورات الاختلاق ،2009،ص23.
2-المرجع نفسه ،ص42.
3- المرجع نفسه،ص49.

السرد. إنه ذلك الوصف الذي تتوارد فيه التفاصيل منفلتة من المعنى المسبق، وثائرة على تحكيمه ومهدمة لمعالمه، بفضل خلقها لدلالة مغايرة علانية. ويشكل هذا النمط من الوصف أعلى درجات احتراف الوصف والسرد، و بواسطته نكتشف حقيقة أخرى من حقائق العلاقة القائمة بين السرد والوصف، تتمثل في قلب المقولة الشائعة [لا يوجد سرد روائي بدون وصف ولا يوجد وصف بدون سرد] [1].

3-وظائف الوصف:

للوصف وظائف مختلفة تتحدد في كل رواية ،لكن هناك وظائف عامة يمكن إيجازها كالآتي :

-**وظيفة واقعية:** تقديم الشخصيات والأشياء والمدار المكاني والزماني كمعطيات حقيقية للإيهام بواقعيتها ، ويمكن الإيهام بالعكس،أي بعالم خرافي لايشابه الواقع في شيء (كما في القصص الخرافية).

-**وظيفة معرفية** : تقديم معلومات جغرافية أو تاريخية أو علمية أو غيرها ، مما يهدد بتحويل النص إلى نص وثائقي أو تعليمي.

-**وظيفة سردية** : تزويد ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن والشخصيات وتقديم الإشارات التي ترسم الجو أو تساعد على تكوين الحبكة ، وقد اقترح رولان بارت التفريق في الوصف بين نوعين من العناصر ، العناصر المعرفية (Information) التي تقترح معلومات مفهومة بقصد ربط النص بخارج النص والإيهام بإنتمائه إلى الواقع ، والعناصر الإشارية (Indices) التي تقدم المعلومات لايمكن فهمها إلاّ لاحقا وغايتها ربط جزء من النص بجزء آخر .

-**وظيفة جمالية** : تعبر عن موقع الكاتب داخل نظام الجمالية الأدبية.

1– عبد اللطيف محفوظ ،وظيفة الوصف في الرواية ، ص ص49-50.

-**وظيفة ايقاعية** : تستخدم لخلق الايقاع في القصة ، قطع تسلسل الحدث لوصف المحيط الجغرافي الذي يكتنفه يولد تراخيا بعد توتر ، وقطع تسلسل الحدث في موضوع حساس يولد القلق والتشويق .[1]

فمن خلال هذه الوظائف الخمس للوصف يمكن أن نستخرجها من رواية "بداية ونهاية " وذلك من خلال استخراج علاقة الشخصية بالوصف ،لأن أهم جانب يغلب الوصف عامة هو وصف الشخصيات .

ويعد وصف الانفعالات والحالات الشعورية للشخصية من النقاط الأساسية التي إلتقطتها عدسة الراوي ؛ حيث يقول :« وغادرا المدرسة إلى شارع شبرا يلتمسان طريقهما خلل الدموع. وكان حسنين أسرعهما إلى البكاء فأراد حسين أن ينهره في حال عصبية ولكن أفحمه البكاء واختنق صوته فلم ينبس بكلمة. وعبرا الطريق إلى الجانب الأخر، وحثا خطواتهما قاصدين عطفة نصرالله على مسيرة دقائق من المدرسة. وتساءل حسنين وهو ينظر إلى شقيقه كالمستغيث: – كيف مات؟»[2]، إن مثل هذا الوصف يأتي دوما مطابقا للحالة النفسية بمضمونها الشعوري والإنفعالي التي تعانيها الشخصية ،وثمن إرتباط فعلي وثيق يبين حساسية المكان وطبيعة الانفعالات التي يتركها على الشخصية ، وهذا ما نلحظه في بيت بهية حينما كان حسين وحسنين يدرسان أخاها سالم الإنجليزية « ولكن سخونة الشاي لم تغيبه طويلا عما يعاني من إغراء ، جسم لدن ، عينان جذابتان ، هيهات أن يختفي هذا الفساد الطويل ما انطبع من حسي من صورة الساقين »[3]. وفي مواقع أخرى نجد الكاتب يصف لنا ما يوجد داخل الشخصية ويظهر هذا من خلال ما اختلج في داخل نفيسة حينما سمعت خبر زواج سلمان البقال من فتاة أخرى ويظهر ذلك من خلال قول الراوي :«...فتماسكت في جهد شديد ،لقد انفجرت الصرخة في صدرها بلا

1– حميد الحمداني ، النقد الروائي والايديولوجي،ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،1990،ص160.
2– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص162.
3– المصدر نفسه ،ص175.

وعي وانطلقت من فيها دامية ، ولم تعد تستطيع أن تتابع حديث المرأتين وشعرت بأنها تموت موتا سريعا منقضاً »[1].

من خلال هذا يتضح لنا أن الوصف يمزج بين الداخل والخارج ، ونكون أمام الأوصاف الداخلية الخالصة فإننا نكون في تماس مباشر مع الحياة الحميمية للشخصية ،مع رغبات وأوهام وطموحات ، فنرى تقديم الشخصية عبر الوصف واضحا من خلال تحليلنا لبعض مقاطع الوصف في الرواية .

3-عبر الحوار :

أ-مفهومه :النص الروائي ليس سردا ووصفا فقط ،بل هو عبارة عن شبكة تنقلات بين الكثير من الثقافات المتاحة القادمة على بلوغ حالة تشكيل جمالية للعمل الروائي لابديل لها،والحوار أحد هذه الثقافات المركزية وسيلة يلج إليها الراوي لكسر الزخم الحامل في فعل السرد ،فالحوار روح الرواية الذي يحرك عالم الأحداث تحريك نوعي،والروائي بهذه الثقافة يمنح نصه روحا ثانية إلى جانب الأرواح السردية المسيطرة على النص ،الفعل مايحققه من دينامية ورشاقة في تطور الحراك الروائي داخل الرواية[2].

والحوار هو تمثيل للتبادل الشفهي ، وهذا التمثيل يفترض عرضا كلام الشخصيات بحرفيته، سواء كان موضوعاً بين قوسين أو غيرموضوع. ولتبادل الكلام بين الشخصيات أشكال عديدة (الاتصال والمحادثة والمناظرة ...)[3].

إن لغة الحوار هي هم النقد الروائي العربي بامتياز. فالرغبة في بناء لغة الشخصيات الروائية بناءً واقعيا يعكس ثقافتها وبيئتها تفرض أن تتكلم الشخصية بلهجتها. ولكن الفرق بين اللغة الفصحى (لغة السرد الروائي) واللهجات العامية (اللغة الواقعية المفترضة

1– نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص213.
2– محمد صابر عبيد ،جماليات الشكل الروائي ،ص286.
3– لطيف زيتوني ،معجم مصطلحات نقد الرواية ،ص79.

للشخصيات) يجعل استخدام العامية نوعا من الثنائية اللغوية داخل الرواية الواحدة . فإذا أضفنا أن اللهجات العامية تتفاوت كثيرًا بين البلدان العربية، أمكننا أن نستنتج مقدار الصعوبة التي سيواجهها القارئ المتتبع للإنتاج الروائي العربي[1].

ب-أنواع الحوار :

1-الحوار الخارجي (الديالوج):يشكل الحوار الخارجي نقطة انطلاق الشخصيات العامة للتفاهم فيما بينهما حينما يكون الراوي هو المسؤول الحقيقي لإثبات التشكيل السردي في النص، ويضل رديف السرد ، ويستخدم الراوي هذا النوع من الحوار بوصفه صفة فعلية في التدليل الوصفي للمتحدث ،ونجد هذا غالب في بعض الأفعال :(قال وقلت وأجابت وسأل وصرخ ،نادى ...)[2].

2-الحوار الداخلي (المونولوج): وهو حوار منطوق داخليا غير مسموع خارجيا ،بمعنى أن العالم الخارجي الذي يحيط بالشخصية لايدرك كنه هذا الحوار وماهيته ومايدور في فضائه من تفاصيل .

فالإنسان في حالة المخاطبة للنفس قد يلجآ إلى بعض التصرفات التي من شأنها فضح الحال السردية للشخصية وطبيعة أفكارها ويتخذ هذا النوع من الحوار شكلا حواري وأحادي الإرسال[3].

وظائف الحوار: يسمح الحوار:

- التخلص من جمود الأسلوب الأدبي من خلال استخدام ألفاظ وتعابير و صيغ نحوية مستفادة من اللغة الحية .

1- لطيف زيتوني ،معجم مصطلحات نقد الرواية ،ص82.
2- محمد صابر عبيد ،جماليات التشكيل الروائي ،ص287.
3- المرجع نفسه،ص289.

–تقوية أو إضعاف أو كشف التعاطف بين الشخصيات .

–تنويع وجهات النظر من الحكاية ، بالإنتقال من موضوعية الراوي إلى ذاتية الشخصية،من المعرفة إلى الشعور .

– خلق الاحتكال بين الاصوات (الشخصيات) وين الكلام (حواريية باختين).

– تحويل الشخصية إلى شيء موضوعي فتنظر إليها من وجهة نظر جديدة .

–تأكيد واقعية الرواية وترابطها ، فإذا تناول الحوار أحداث الماضي أكد صحة هذه الأحداث وخلق بينها الانسجام ، وإذا تناول المستقبل منح القارئ أداة الإستشراف والحكم على سير الرواية[1].

وفي هذا الإطار يمكننا أن نستخرج من الروايات بعض الحوارات القائمة بين شخصيات هذه الرواية سواء كان الحوار داخليا أو خارجيا وسأستهل دراستي فيها يخص هذا الجانب عن الحوار الخارجي ونأخذ مقطع من الرواية تبرز مدى علاقة طرفي الحوار (حسين وحسنين): «ماأتيت من منكر !! ولعلك سمعت ماقلت!

وهل من منكر وراء اعتراضك لسبيلها علي هذا النحو غيراللائق؟!

لا أحسبها تعدّه كذلك !

فقال حسين:

ستخبر أياها

لن تخبره

ولو فعلت لأذبتك تأديبا قاسيا. . . ! »[2].

1- لطيف زيتوني ،معجم مصطلحات نقد الرواية ،ص ص72-73.
2–نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص194.

إذن فالقارئ المتمعن لهذا الحوار يخلص إلى مجموعة من الملاحظات ،فأول ملاحظة نجحد أن اللغة المتبادلة بين الطرفين هي اللغة الفصحى البسيطة المتداولة لدى الجميع ،فرغم تقارب السن بينهما إلاّ أن حسين كان يعض أخاه دائما وهذا دليل على أن حسين كان ذا حنكة وحكمة خاصة في إتخاذ قراراته المصيرية وبهذا نستنتج وظيفة هذا الحوار حيث يسمح هذا الأخير بتقوية أو إضعاف أن كشف بين الشخصيات ونجد حوارا آخرا بين سلمان البقال ونفسية :

أهلا وسهلاً كنت أتساءل متى تأتين؟

ولماذا تتساءل ؟

فضيق عينيه الضيقتين وقال مبتسماً:

حزري ! . . . إسألي قلبي . . .

فرفعت حاجبيها المزججين وقالت :

إسأل قلبك؟؟ . . ماذا وراءك يا قلبه !؟

فقال الشاب همساً:

يقول قلبي إنَّه سُر لرؤياك وينتظره على لهفة !

حقا؟ !

فاستدرك في جدّ أكثر من ذي قبل :

ويقول أيضا إنه يرغب في أن يلقاك الآن في الشارع ليفضي إليك بأشياء هامة[1].

ونجد روح المعاملة بارزة بين طرفي الحوار ، وهذا دليل على استعمال الكاتب لألفاظ هادئة وموحية ،فالتساؤلات التي كانت بينهما لم تزعج أحد الطرفين مما يدل على رضا وتفاهم بغض النظر عن النوايا الحقيقة لكل منهما فهي كانت بريئة صادقة وتطمح إلى

1- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص196.

الزواج في الحلال لكن الطرف الآخر كانت كل ألفاظه تنم عن الخيانة والندالة ، ومن هذا الحوار نلحظ أن وظيفة هذا الحوار تسمح بتعبير الشخصيات عما يوجد في داخلها .

وهناك نوع آخر من الحوار نجده مجسدا في رواية "بداية ونهاية " لنجيب محفوظ وذلك عندما بعث حسنين بأهله إلى خطبة "بهية" إبنة " فريد أفندي محمد" ،« بعد دقائق أعلم كل شيء . هل تكون بهية لي أو أدفن هذا الأمل الوليد ؟ لا سبيل إليها إلا بهذا. إني أريدها ولا غنى لي عنها. ترى فيما تفكر هي في هذه اللحظة؟ ألا يتوزعها القلق على مصيرنا؟ إنها تحبني بلا ريب. حسبي هذا من الدنيا جميعًا. تبا له إنه يطالع في هدوء،ويستمتع بمراقبة المعركة من بعيد لا حب ولا قلق. من قال إنها تقيم في القلب؟ الأرجح أنها تعشش في العقل ؟! وهذا سر الجنون »[1].

هذا النوع من الحوار يسمى بالحوار الداخلي (المونولوج) ،فهو حوار أشبه مايكون بمخاطبة الذات ومناجاتها .

وتسمى كذلك بالحوار الذاتي ،إذ تشكل الذات النقطة المركزية التي ينطلق منها هذا الحوار وإليها يعود [2] .

ويظهر ذلك جليا في حوار داخلي آخر يبرز داخل الرواية وضمن المقطع الآتي في حديث نفيسة مع نفسها :«متى يمكن أن أكون عروس ،ليس قبل أن يموت عم جابر سلمان،ياللسخرية !أمل كلفني نفسي وجسدي ،هل يدور هذا لأمي في خلد ؟! إنها تحسب أن هموم المعيشة أكبر الرزايا يالها من جاهلة بائسة !»[3]،فنفيسة هنا تحاور نفسها تسأل وتجيب عن أسئلتها لوحدها .

1- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص200.
2- محمد صابر عبيد ،جماليات التشكيل الروائي ،ص297.
3- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة ،ص213.

وهكذا نخلص إلى أن كلا من السرد والوصف والحوار ثلاثية لايمكن فصلها في أي دراسة لما تنطوي عليه من تداخل في الرؤية والممارسة والفعل السردي داخل العمل الروائي خاصة لأنها تمثل العناصر المركزية التي تشتغل عليها الرواية في تعضيد نموذجها الجمالي ،فمن خلال هذه الثلاثية استطعت أن نكشف عن طبيعة الشخصية ودورها ووظيفتها في الرواية .

خاتمة

خاتمة:

من خلال البحث في هذا الموضوع توصلت إلى عدة نتائج أهمها :

-تكمن جمالية الشخصية الروائية في هذه الرواية في علاقتها بالزمان والمكان إضافة إلى علاقتها بعناصر الفن الروائي .

-وظف الكاتب الجانب الفني للرواية بشكل ممتاز ، حيث أن الرواية شملت على العديد من العناصر الفنية .

-إظهار أثر وفاة الأب وانعكاساته على واقع الأولاد .

-بيان أزمة الفرد في المجتمع وتجاهل هذا الأخير له .

-عالجت هذه الرواية التمسك بمكارم الأخلاق من جهة ومن جهة أخرى التحدي والإنحراف.

-شكلت ظاهرة السقوط الجنسي حالاً للهروب من الواقع وانعكاساته.

-سيطرة ظاهرة الفقر والحرمان على معظم شخصيات هذه الرواية وخاصة عائلة «كامل أفندي علي».

وفي الأخير أرجو أن يكون عملي هذا بداية لأبحاث أخرى وإضافة الجديد عليه .

قائمة المصادر والمراجع

1-إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية) ، دط ، دار الآفاق،الجزائر،1999.
2-ابراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية،ط1 ،المؤسسة العربية للناشرين المتحدين،1988.
3- أحمد موصلي ولؤي صافي ، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت ، 2002.
4-الأخضر الزاوي ، دراسات في الأدب المقارن ،د ط، منشورات جامعة باتنة،1998.
5- إ،م،فوستر ، أركان القصة ، (تر) : كمال عباد جاد ،ط1، الهيئة المصرية العامة،القاهرة ،2001.
6- أمندو لادو،الزمن والرواية ،تر بكر عباس ،ط1، دار صادر ،بيروت ،1997.
7- أنطوان نعمة ، السيميولوجيا والأدب ، نقلا عن عيسى طيبي ، مكونات الخطاب السردي ، رواية قبور الماء الزقزاق انموذجا ، رسالة ماجستير ، الجزائر ،2000-2001.
8-أنور الصعداوي، بداية ونهاية ،مجلة الرسالة ،ع949 ،2يوليو 1951.
9- باديس فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع،مصر،2008.
10- بول ريكو ، الوجود والزمن والسرد ، تر سعيد الغانمي ، دط ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، 2005.
11- جمال الغيظاني ، نجيب محفوظ يتذكر ، ط 1، دار النهضة العربية،بيروت،1989.
12- جميلة مصداق، التصوف في الرواية العربية ،الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء أنموذج ، رسالة ماجستير ، جامعة القاضي عياض، مراكش ،2006.
13- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء ، الزمن ، الشخصية ، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت،1990.
14-حميد الحمداني ، النقد الروائي والايديولوجي،ط1 ، المركز الثقافي العربي بيروت،1990.

15-حميد الحمداني ، بنية النص السردي ، دط ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر،دت.
16- رشيد قريبع ، الرواية الجديدة بين الأدبين الفرنسي والمغاربي ، رسالة دكتوراة جامعة منتوري قسنطينة ، 2002-2003.
17- سعيد شرقي ،محمد سليمان ، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ ،ط1، كلية الآداب جامعة المنوفية 2000.
18- سعيد يقطين ،قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ،د ط ،المركز الثقافي العربي ،د ت.
19-سمر روحي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية ، ط1، منشورات اتحاد العرب،1995.
20-سمير روحي الفيصل ، الرواية العربية البناء والرؤيا ،ط1، اتحاد الكتاب العرب دمشق،2003.
21- سيد أحمد فرج ،أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ،ط1،دار الوفاء للطباعة والنشر،دب،ص1990.
22- سيزا قاسم، بناء الرواية ، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984.
23- شريبط أحمد شريبط ، سيميائية الشخصية الروائية ، ملتقى السيميائية والنظر الأدبي مجلة التبيين ،ع11 ، عنابة ماي 1995.
24- الشريف جبيلة ، مكونات الخطاب السردي ، دط ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن 2001.
25- صالح ولعة ، البناء والدلالة في روايات عبد الرحمن منيف ، رسالة دكتوراة ،جامعة باجي مختار 2001-2002.
26- عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن ودلالته ، دط ، الدار العربية للكتاب ، 1988.
27-عبد العزيز شرف ،الأسس الفنية للإبداع الأدبي ،دط، دار الجيل ،بيروت ،1983.
28- عبد اللطيف محفوظ،وظيفة الوصف في الرواية ، ط1، منشورات الاختلاق،2009.

29-عبد الله خمار ، تقنيات الدراسة في الرواية ، الشخصية ، دط ، دار الكتاب العربي،الجزائر، 1999.
30- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،1998.
31- عثمان بدري ،بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ،ط1،دار الطباعةوالتوزيع ،بيروت،1987.
32-عزالدين مناصرة ،شهادة في شعرية الأمكنة ، مجلة التبيين ،الجاحضية ،ع1،1990.
33-عزمي طه سيد أحمد ، الفلسفة مدخل حديث ، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان ،2003.
34-عزيزة مريدن، القصة والرواية ، دط ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1971.
35- عمر عاشور ، البنية الزمانية والمكانية في رواية "موسم الهجرة الى الشمال "رسالة ماجيستير " 2001-2002.
36- عودة الله منيع القيسي ، نجيب محفوظ ،تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواياته ،ط1، الأردن ، 2007.
37- غسان كنفاني ،جماليات السرد في الخطاب الروائي ،ط1 ،المكتبة الوطنية ،دت.
38- فاطمة فاطمة زهراء أزويل ، مفاهيم نقد الرواية بالمغرب والمصادر العربية والأجنبية،ط1 ، منشورات الفنك ، الدار البيضاء المغرب ، 1989.
39- فاطمة موسى ، كتب جديدة ، مجلة الثقافة الرفيعة ، فبراير،1962.
40- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1، مكتبة لبنان ، 2002.
41- محمد برادة ، أسئلة الرواية ،أسئلة النقد ،دط، الدار البيضاء ، دت.
42- محمد بوعزة ، تحليل النص السردي ، تقنيات ومفاهيم، ط1 ، منشورات الإختلاف الجزائر ،2010.
43- محمد رياض وتار : شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، دط ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،1999م.
44- محمد زكي العشماني ، أعلام الأدب العربي الحديث و اتجاهاته الفنية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، 1990م.

45- محمد سويرتي ، في النقد البنيوي والنص الروائي، ط1 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،1981.
46- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ، جماليات التشكيل الروائي ،دط، دار الحوار اللاذقية ، ص119.
47- محمد علي سلامة ، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ ،ط1 ،دار الوفاء لدنيا الطباعة ،2007.
48- محمد مساعي ، تفسير السلوك الإنساني في روايات نجيب محفوظ ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2004.
49- محمد مسباعي ،التحليل النفسي للرواية ، نجيب محفوظ أنموذجا ،دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،2009.
50-محمد مسباعي ،التحليل الفني للرواية ،نجيب محفوظ أنموذج ، د ط ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،دت.
51- مرشد أحمد ، البنية والدلالة في روايات ، إبراهيم نصر الله ،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت 2005.
52- منى بن شيخ ، دلالة الشخصية في رواية المخطوطة الشرقية " واسني الأعرج " رسالة ماجستير جامعة الجزائر،2003-2004.
53- نجيب محفوظ ، المؤلفات الكاملة (السراب ، بين القصرين ، بداية ونهاية ، قصر الشوق السكرية) ، ط1، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1991.
54-نصر الدين محمد (الشخصية في العمل الروائي)،مجلة الفيصل الثقافية السعودية،دار الفيصل الثقافية ،ع 37،1980.
55- والاس مارتن ، نظرية السرد الحديثة ، تر ، حياة جاسم محمد ،دط ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998.
56- هيام اسماعيل ، البنية السردية في رواية أبو جهل الدهاس ، لعمر بن سالم ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بجامعة الجزائر 1997،1998.
57- هيثم الحاج علي ، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 2008.

فهرس الموضوعات

مقدمة :.....أ ب ج

مدخل : الشخصية الروائية بين المصطلح والمفهوم

أولا: الشخصية مفهومها وأنواعها وأبعادها.....1

ثانيا :نبذة مختصرة عن حياة الكاتب نجيب محفوظ.....7

ثالثا :ملخص رواية بداية ونهاية.....10

الفصل الأول :علاقة الشخصية الروائية بالزمان والمكان

أولا : علاقة الشخصية الروائية بالزمان.....14

1-تعريف الزمن.....14

2-تعريف الزمن الروائي 17

3-عناصر الزمن.....19

ثانيا : علاقة الشخصية الروائية بالمكان.....24

1-تعريف المكان.....24

2-أقسام المكان.....25

الفصل الثاني :أنماط الشخصية الروائية وأساليب تقديمها

أولا :أنماط الشخصية الروائية.....38

1-الشخصيات الرئيسية.....39

2-الشخصيات الثانوية.....48

ثانيا :أساليب تقديم الشخصية 52

1-عبر السرد.....52

2-عبر الوصف.....56
3-عبر الحوار.....61
خاتمة.....67
قائمة المصادر والمراجع

ملخص :

–تؤدي الشخصية دوراً هاماً في العمل الأدبي؛ إذ فيها يكتسب حركية وقوة فالكاتب يقوم برسم شخصياته حسب رؤيته الفكرية ،إذن فالشخصية هي بمثابة القلب النابض في الرواية لأنها تبعث فيها الحياة ،فهي الحاملة للحدث والمنفعلة به وهي الكفيلة بإستدعاء الزمان والمكان ، والأهم من ذلك قدرتها على طرح نفسها أمام القارئ بحيث لا يحس أنها دمى يحركها الكاتب ، كما أنه يمنحها أسماء أو حت ببعض صفاتها النفسية والجسمية ، كما نجد الروائي يقدم شخصياته عبر السرد والوصف والحوار .

الكلمات المفتاحية :الشخصية ،الزمان ، المكان ،الحوار ،السرد ،الوصف.

Résumé

La personnalité aboutit un rôle important dans l'ouvrage littéraire; il en acquiert donc un mouvementisme et une force.

L'auteur fait représenter sa personnalité selon sa visibilité intellectuelle ,donc la personnalité est en guise du cœur pulsatif (palpitant) dans le roman parce qu'elle en émet la vie ,donc elle est porteuse pour l'événement et qui et garante en rappelant l'époque (le temps) et le lieu.et l'essentiel est sa capacité de lancer elle –même devant le lecteur tandis qu'il ne ressent pas d'être des poupées que bouge l'auteur de même qu'il leu adonne des noms inspirer quelques qualités psychologiques et corporelles , comme on retrouve le romancier qui présente sa personnalité à travers la narration la description et le dialogue.

Mots clés :

Personnalité ,époque(temps) , lieu, dialogue, description ,narration.